الإرهابُ العالمي

مَنْ يَصْنَعُهُ؟ وَمَنْ يَمْنَعُهُ؟

اليهود . النصارى . العرب

الحروب . العقل . الدين

تأليف

الأستاذ الدكتور

عبد المهدى عبد القادر عبد الهادى

أستاذ الحديث بكلية أصول الدين

جامعة الأزهر

مكتبة الإيمان

٤ ش أحمد سوكارنو ـ العجوزة

ت: ٣٤٥٢٣٠٢

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

رقم الإيداع : ٢٠٧٧ / ٢٠٠٣ م

مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة . ت : ٤٨٢٧٨٥١

المقدمة

«الإرهاب» لفظة تطلق ويراد بها فى هذه الآونة[١]: ترويع الآمنين، وتدمير الممتلكات، وقتل الأبرياء.

و«الإرهاب» بهذا المعنى يعادل «الإجرام».

ولقد شاعت كلمة الإرهاب منذ فترة، ففى الربع الأخير من القرن العشرين استعملت وسائل الإعلام كلمة الإرهاب كثيرًا، ولما وقعت حادثة سبتمبر سنة ٢٠٠١م وانهدم مبنى مركز التجارة العالمى فى أمريكا، وقيل إن مبنى وزارة الدفاع أيضًا تعرض لشىء، منذ ذلك الحين والكلام عن الإرهاب يحتل الصدارة فى النشرات والمقالات والكتابات.

وعلى جميع المستويات دار سؤال: ما هو الإرهاب؟

لكنه السؤال الذى حار ولم يجد جوابًا إلى الآن[٢]!!.

كما أن مصدر الإرهاب ليس محددًا على وجه الصواب!!.

ومن هنا أخذت أستعرض فى هذه الدراسة الأحداث «الإرهابية» أو «الإجرامية» على طول تاريخ البشرية كى أستوضح مَنْ هم الإرهابيون؟

هل هم اليهود؟

أم هم النصارى؟

---

(١) أما فى أصل اللغة العربية، فـ «الإرهاب» الخوف. ومنه الآية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

(٢) جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ أغسطس سنة ٢٠٠٢م.

أم هم العرب؟

أم هم الشيوعيون؟

أم هم البوذيون؟

وهل الإرهاب دينى؟ بمعنى أن أهل دين معين هم الإرهابيون. أو عرقى؟ بمعنى أن نوعًا معينًا من البشر يحرصون على الإرهاب.

ثم: مَنِ الذى يقع عليه الإرهاب؟ بمعنى هل هناك نوع من البشر دائمًا يقع عليهم الإرهاب؟

وأخيرًا: كيف يمكن وقف الإرهاب؟ بمعنى: كيف نوفر السلام العالمى؟

ولقد راعيت فى هذه الدراسة غاية الاختصار، لتسهل قراءتها واستيعابها، وراعيت أيضًا قوة إثبات ما أقول، فذلك أدعى للقبول.

والغرض من هذه الدراسة:

١ - بيان الحق بمعرفة مصدر الإرهاب، حتى لا تُرمى به جماعة هى بريئة منه، وحتى لا يُعَالَجَ علاجًا خطأً، فنعالج الداء بما يزيد المرض!!.

٢ - رسم الطريق للتخلص من الإرهاب، وتوفير أسباب استقرار البشرية وسعادتها.

إنها دعوة للحق والعدل، وقد يصْلِحُ الله جيلاً بكلمة.

أسأل الله التوفيق والقبول.

المعادى رمضان سنة ١٤٢٣ **عبد المهدى**

نوفمبر سنة ٢٠٠٢

• جذور الإرهاب:

الناظر فى تاريخ البشرية يجد فيه كثيرًا من الحوادث الإجرامية «الإرهاب».

* فإبليس حسد آدم وتكبر وطغى وأضله!!.

* وقابيل بن آدم قتل أخاه هابيل من أجل زواج فتاة!!.

* وقوم نوح آذوا نوحًا من أجل أنه يدعوهم إلى الحق!!.

* وقوم إبراهيم رسول الله أشعلوا له النار، وألقوه فيها.

أناس يحرقون رسول الله إليهم!!.

* وقوم شعيب قالوا له ﴿**لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا**﴾[1].

* أناس يطردون نبيهم!!.

* وكم من أناس حفروا أخدودًا وأوقدوا النار وألقوا فيها أناسًا أحياء.

ناس يحرقون ناسًا!!.

* وزكريا ويحيى أنبياء الله قُتلا!!.

* وعيسى عليه السلام سعى كثيرون فى قتله وصلبه!!.

* ونصارى جاءوا من اليمن لهدم الكعبة، المبنى الذى يحج إليه الكثيرون!!.

هذه صور من صور الإرهاب قبل الإسلام. لكنى سوف أركز على الأحداث بعد الإسلام، وبخاصة الفترة القريبة منا ـ القرن العشرين ـ.

(١) سورة الأعراف: آية ٨٨.

عهد النبى محمد ﷺ

١ - المشركون يرهبون المسلمين:

بعث الله رسوله محمدًا ﷺ رسولاً، يدعو الناس إلى توحيد الله تبارك وتعالى، وإلى مكارم الأخلاق، وبدأ ﷺ بنفسه، فكان خير إنسان، وخير قدوة، لم يؤذ أحدًا بقول ولا بفعل، وإنما أحسن إمامة الناس إلى كل المعالى، اعترف له بذلك أعداؤه وأحبابه:

* قابله زعيم المشركين فى مكة «أبو جهل» فقال له: إنى أعلم أنك صادق. ولكن كاذب ربيعة خير من صادق مضر.

يقصد أبو جهل أن الكاذب من قبيلته ربيعة أفضل عنده من الصادق من قبيلة أخرى!

* وأرسل ﷺ كتابًا إلى قيصر الروم يدعوه إلى الإسلام نص هذا الكتاب:

«من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإنى أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين. فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين[١]. و ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢]. [٣]

---

(١) جمع أريسى وهو الفلاح. والمراد: عليك إثم أتباعك، لأنك امتنعت عن الحق ومنعت أتباعك.
(٢) سورة آل عمران: آية ٦٤.
(٣) أخرجه البخارى رقم ٧.

* وأرسل ﷺ كتابًا إلى كسرى بن هرمز ملك الفرس، هذا نصه:

من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس. سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاء الله فإنى أنا رسول الله إلى الناس كافة، لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين. فإن تُسْلم تَسْلم، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك»[١].

وواضح من الكتابين مدى عظمة شخصيته ﷺ، إنه يكتب لهم بكل احترام:

«إلى هرقل عظيم الروم».

«إلى كسرى عظيم فارس».

إنه يكتب لهم بكل مودة وسلام.

«سلام على من اتبع الهدى» وهذا فى الكتابين.

ولقد تدارس أهل عصره دعوته فاحترموه، واحترموا الإسلام، وأذكر منهم هرقل فإنه لما قرأ كتابه ﷺ إليه طلب إحضار عدد من العرب، وسألهم كثيرًا عن رسول الله ﷺ فأجابوه، بعدها قال: فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمىّ هاتين[٢]. وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أنى أعلم أنى أخلص إليه لتَجشَّمت[٣] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه[٤].

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبرى فى التاريخ.
(٢) أى بلاد الروم الشام وغيرها.
(٣) أى تكلفت.
(٤) البخارى حديث رقم ٧.

ويكفى فى بيان احترام الجميع لدعوته ﷺ قول الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[١].

إلا أنه من حظ البشرية العاثر أن الكثيرين من مشركين ويهود ونصارى وغيرهم تمالئوا عليه، وأخذوا يكيدون له بكل أصناف الكيد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ[٢] أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ[٣] وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٤].

ويقول ﷺ «لقد أُوذيتُ فى الله[٥] وما يؤذى أحد[٦]، وأُخِفْت فى الله وما يُخاف أحد»[٧].

لقد حاول أعداؤه ﷺ تشويه صورة الإسلام بكل حيلة وحاولوا تشويه صورته ﷺ بكل وسيلة.

وعذبوا المسلمين بصنوف من العذاب، فاستولوا على أموال بعضهم، وطردوا بعضهم، وآذوا بعضهم، وقتلوا بعضهم. وإنه ليصعب علىّ أن أستعرض الأمثلة.

لقد اضطر المسلمون أمام تعذيب المشركين لهم، وتآمر اليهود والنصارى عليهم إلى الهجرة من بلدهم مكة إلى الحبشة. ولم يتركهم

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٣.
(٢) يقيدوك ويتركوك تموت جوعًا وعطشًا.
(٣) يطردوك من بلدك مكة.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٣٠.
(٥) أى فى إظهار دين الله.
(٦) والحال والشأن أنه لم يكن أحد يؤذى فى هذا الزمن مثل إيذائى.
(٧) أخرجه الترمذى فى القيامة باب حدثنا هناد أخبرنا أبو معاوية ٧/ ١٧٠ وقال: حسن صحيح وأخرجه ابن ماجه فى المقدمة باب ١١ وأحمد ١٩/ ٢٤٥، ٢١/ ٤٤٣.

المشركون، وإنما راحوا يؤلبون ملك الحبشة «النجاشى» عليهم! ولكن الله سلم، وأسلم النجاشى ملك الحبشة[١].

كما اضطروا إلى الهجرة إلى المدينة كل ذلك فرارًا من اضطهاد «إرهاب» المشركين.

واضطر رسول الله ﷺ إلى الهجرة من مكة - بلده وبلد آبائه، بل هم المؤسسون لها - إلى المدينة، بعد أن تآمر المشركون على قتله!!.

وعلى الرغم من ترك الرسول ﷺ والمسلمين مكة للمشركين إلا أن المشركين لم يتركوهم وشأنهم، وإنما جاءت جيوش المشركين لقتل المسلمين فى المدينة فكانت غزوة بدر.

ثم كانت غزوة أحد، وطغى الكفر فيها وتجبر، وأصيب رسول الله ﷺ فيها، وحرص بعض المشركين على قتله إلا أن الله حفظه.

ثم كانت غزوة الخندق، وفيها جمع المشركون جموعًا لا تعرفها الجزيرة العربية، وجاءوا للقضاء على الإسلام ورسوله، وروّعوا المسلمين كل الترويع، وأتعبوهم كل التعب.

[وكل ذلك يدل على أن الإرهاب إنما هو من المشركين، وواقع على المسلمين].

* * *

(١) راجع البداية والنهاية ٣/ ٧٢.

٢- اليهود يرهبون المسلمين:

وفى العهد النبوى كاد اليهود للإسلام بكل أنواع الكيد:

أ - فأرسلوا لأهل مكة شبهات يثيرونها على الإسلام!!

ب - وحرصوا على أن يؤكدوا للمشركين أن دينهم الوثنى أفضل من الإسلام!!.

جـ - ولما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كتب معاهدة بين المسلمين واليهود[1] جاء فى بندها رقم ١٦: وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم.

وفى بندها رقم ٤٤: وأن بينهم - أى المسلمين واليهود - النصر على من دهم يثرب[2].

وهكذا كل بنودها فى غاية الإنصاف والعدل، حتى إنها تعتبر أعظم وثيقة بين أمتين. إلا أن اليهود لم يوفوا بذلك، وإنما راحوا يؤذون المسلمين بكل ما استطاعوا!!.

د - وحاولوا قتل رسول الله ﷺ بإلقاء حجر عليه من فوق مبنى كان ﷺ جالسًا بجواره.

قال حيى بن أخطب - أحد زعماء اليهود - لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه، ولا ترون شرًا أبدًا. فجاءوا إلى رحى[3]

---

(١) نص هذه الوثيقة فى كتاب «الوثائق السياسية» لمحمد حميد الله ص٥٧، ٥٩ وذكر الكتب التى جاء فيها نص هذه الوثيقة وهى فى كثير من كتب السنة النبوية والسيرة والتاريخ.

(٢) أى أغار على يثرب. ويثرب اسم المدينة قبل الهجرة، ثم غيّره رسول الله ﷺ.

(٣) الرحى: حجران عظيمان يُطحن بهما الحبوب.

لهم عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم، حتى جاءه جبريل ﷺ فأقامه من ثَمّ [١] فأنزل الله جل وعز ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [٢].

وفى الآيات بعد هذه الآية ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾.

هـ - وحاولوا قتله أيضًا بدس السم له فى الشاة!!

فعن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها. فجيء بها إلى رسول الله ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك. قال: ما كان الله ليسلطك على ذاك - أو قال «علىّ» - قالوا: ألا نقتلها؟ قال: لا. قال أنس: فمازلت أعرفها فى لهوات [٣] رسول الله ﷺ [٤].

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «لما فُتحت خيبر أهديت للنبى ﷺ شاة فيها سم. فقال النبى ﷺ: اجمعوا لى من كان هاهنا من يهود. فجُمعُوا له. فقال: إنى سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقىّ عنه؟ فقالوا: نعم:

فقال لهم النبى ﷺ: من أبوكم؟

قالوا: فلان.

---

(١) من ثم - بفتح الثاء - معناها: من هناك.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى ٦/ ١٤٤، ١٤٥ فى تفسير الآية الواردة فيه وهى الآية الحادية عشرة من سورة المائدة. وهو عند البيهقى فى السنن ٩/ ٢٠٠ وفى الدلائل ٢/ ٤٤٦.

(٣) اللهوات جمع لهاة وهى اللحمة الحمراء المعلقة فى أصل الحنك. أحدث السم أثرًا فى أقصى فمه ﷺ.

(٤) أخرجه البخارى رقم ٢٦١٧ ومسلم برقم ٢١٩٠ واللفظ له.

فقال: كذبتم، بل أبوكم فلان.

قالوا: صدقت.

قال: فهل أنتم صادقىّ عن شىء إن سألت عنه؟

فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا.

فقال لهم: مَنْ أهل النار؟

قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها.

فقال النبى ﷺ: اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا.

ثم قال: هل أنتم صادقىّ عن شىء إن سألتكم عنه؟

قالوا: نعم يا أبا القاسم.

قال: هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًا؟

قالوا: نعم.

قال: ما حملكم على ذلك؟

قالوا: إن كنت كاذبًا نستريح منك، وإن كنت نبيا لم يضرك[1].

والروايات تفيد أن امرأة يهودية تسمى زينب بنت الحارث هى التى دست السم فى الشاة، فوضعت فيها سُمًا كثيرًا، وبخاصة فى الكتف والذراع لأنهم كانوا يعرفون أنه ﷺ يحب هاتين القطعتين من الشاة، لقد فعلت هذه اليهودية ذلك بأمر المحيطين بها، وبمساعدتهم. لكن الله سبحانه أنطق له هذه الشاة، وأخبره ذراعها أنه مسموم، فامتنع ﷺ من الأكل.

(١) أخرجه البخارى رقم ٣١٦٩.

ولقد كانت هذه الحادثة تتناقض تمامًا مع العهود المبرمة بين اليهود وبين المسلمين. وكانت دليلاً دامغًا على غدرهم وخطرهم. مما جعل رسول الله ﷺ يبعدهم عن المدينة.

و ـ وكان بنو قريظة من اليهود فى عهد مع رسول الله ﷺ والمسلمين، وذهب بعض اليهود من بنى النضير على رأسهم حيى بن أخطب إلى مكة وما حولها، فألّبوا المشركين، حتى كوّنوا جيشًا عداده عشرة آلاف مقاتل، فلما وصل المدينة نقضت قريظة العهد الذى بينها وبين المسلمين، وانضمت للمشركين، يمدونهم بالمؤن والعتاد، وهذه خيانة عظمى إذ جاءت فى وقت المعركة وأثبتت أن اليهود لا عهد لهم ولا ميثاق.

هذه بعض مواقف اليهود فى العهد النبوى، منها يتضح:

ـ أن رسول الله ﷺ كان ينصف كل الإنصاف.

ـ وأن اليهود كانوا يغدرون كل الغدر.

ـ وأن الإرهاب كان من اليهود وواقعًا على المسلمين!!.

* * *

٣- النصارى يرهبون المسلمين:

لم يؤذ المسلمون أحدًا من إمبراطورية الروم النصرانية، ولم يتعرضوا لهم بسوء، إلا أن قيصر الروم بدأ يتطاول على دولة الإسلام:

ففى السنة الثامنة من الهجرة وتوافق ٦٢٩م قام حاكم البلقاء من أرض الشام من قِبل القيصر بقتل الحارث بن عمير الأزدى والذى كان يحمل كتابًا من رسول الله ﷺ إلى حكام دولة الروم.

وكان الحارث هذا رسولاً إليهم، وقتل الرسول والذى يسمى الآن «السفير» بمثابة إعلان حرب من الدولة القاتلة على الدولة المقتول سفيرها.

* وبناء على هذا أرسل رسول الله ﷺ جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل يردعهم، فقابلوه بمائتى ألف مقاتل!!.

والتقى الجيشان فى غزوة مؤتة، وانتصر جيش المسلمين، فأغضب ذلك القيصر، فلقد كان يظن أنه سيقضى جيشه على جيش المسلمين فى ساعات قليلة، ولكن الأمر لم يكن كذلك، فأخذ يعد العدة لمعركة فاصلة!!

وكانت الأخبار تصل رسول الله ﷺ أولاً بأول. وكان المسلمون يحسبون لملاقاة الروم ألف حساب.

وأتم إمبراطور الروم استعداداته خلال سنة، وتقدم بجيشه إلى حدود دولة الإسلام!!.

إنه يريد القضاء على الإسلام، هذا الدين الذى جعل العرب قوة وقفت أمام جيش الروم فى مؤتة. وهذا أمر لا يقبله القيصر تجبرًا وتكبرا و«إرهابًا».

[وهكذا كان الإرهاب من النصارى وواقعًا على المسلمين].

٤ ـ المجوس يرهبون المسلمين:

وكانت إمبراطورية فارس المجوسية على النحو الذى كان عليه غيرها من اليهود والنصارى:

فلقد أرسل حاكم الفرس، والذى كان يلقب بـ «كسرى» أرسل من يعتقل رسول الله ﷺ، فأرسل إلى نائبه على اليمن «باذان» أن ابعث إلى هذا الرجل الذى ظهر بالحجاز رجلين جَلْدين من عندك، ومُرْهُما أن يأتيانى به، فبعث باذان رجلاً يسمى «نابوه» وكان كاتبًا حاسبًا ورجلاً آخر من الفرس يسمى «خُرّخُسْرة» وكتب معهما يأمر رسول الله ﷺ بالمسير معهما إلى كسرى، وتقدم إلى نابوه أن يأتيه بخبر رسول الله ﷺ.

وسمعت قريش بذلك ففرحوا، وقال بعضهم: أبشروا فقد نَصِب له كسرى[1] ملك الملوك، كفيتم الرجل.

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ، وقد حلقا لحاهما وأعْفيا شواربهما، فكره النظر إليهما. وقال: ويلكما من أمركما بهذا؟ قالا: ربنا، يعنيان كسرى.

فقال ﷺ: لكن ربى أمرنى أن أُعفى لحيتى، وأقص شاربى.

فأعلماه بما قدما له، وقالا: إن فعلت كتب باذان فيك إلى كسرى، وإن أبيت فهو يُهْلكك ويُهْلك قومك.

فقال لهما رسول الله ﷺ: ارجعا حتى تأتيانى غدا.

وأتى رسول الله ﷺ الخبرُ من السماء: إن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله: فدعاهما رسول الله ﷺ، وأخبرهما بقتل كسرى!

(١) انتبه له كسرى، واهتم بالقضاء عليه.

وقال لهما: إن دينى وسلطانى سيبلغ ملك كسرى، وينتهى منتهى الخفّ والحافر، وأمرهما أن يقولا لباذان: أسلم، فإن أسلم أُقِرّ على ما تحت يده، وأملّكه على قومه.

ثم أعطى خرخسرة منطقة ذهب وفضة أهداها له بعض الملوك.

* وخرجا فقدما على باذان وأخبراه الخبر. فقال: والله ما هذا كلام ملك، وإنى لأراه نبيًا[١]، ولننظرن، فإن كان ما قال حقا، فإنه لنبى مرسل، وإن لم يكن فنرى فيه رأينا. فلم يلبث باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه يخبره بقتل كسرى، وأنه قتله غضبًا للفرس لما استحل من قتل أشرافهم، ويأمره بأخذ الطاعة له باليمن، وبالكف عن النبى ﷺ.

فلما أتاه كتاب شيرويه أسلم، وأسلم معه أبناء من فارس[٢].

هكذا كان طغيان كسرى!

يأمر باعتقال رسول الله ﷺ دون أى سبب!!.

ويأمر بإحضاره إليه بالقوة!!.

ويهدده ويهدد قومه!!.

[مما معه يتضح أن الإرهاب إنما كان من الفرس «المجوس» على المسلمين].

* * *

وهكذا كان العهد النبوى الذى كان فى قمة الصفاء والسمو، كان يعكره إجرام «إرهاب» المشركين واليهود والنصارى، وكان «إرهابهم» واقعا على المسلمين.

---

(١) بهذا يعترف باذان مما يدل على كريم فعله ﷺ.

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢/ ٩٤ باب ذكر مكاتبة رسول الله ﷺ الملوك وأخرجه الطبرانى والبزار كما فى مجمع الزوائد ٨/ ٢٨٧، ٥/ ٣٠٩.

الإرهاب بعد العهد النبوى

واستمر الإرهاب بعد العهد النبوى، بل إنه فاض وزاد، وعلى الرغم من كرم أخلاق الصحابة إلا أن غير المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم استمروا فى كيدهم للإسلام وأهله، واستعملوا كل وسائل الإرهاب.

• مقتل عمر بن الخطاب:

عمر بن الخطاب من الحكام الذين شهد لهم القاصى والدانى بالاعتدال التام فى قضائه وإمارته، أنصف كل من تقدم إليه من المسلمين وغيرهم، وأكرم كل من كان تحت ولايته من المسلمين وغيرهم.

رأى يهوديًا يسأل على باب المسجد فقال: ما أنصفناك، كنا نأخذ منك الجزية فى شبيبتك ثم ضيعناك فى كبرك، ثم أمر خازن بيت مال المسلمين أن يعطيه ما يكفيه وأولاده، وبين أن الآية القرآنية ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾[1] تشمل هذا وأمثاله فهو من مساكين أهل الكتاب[2].

بهذا المنهج الإسلامى العظيم قاد عمر الأمة فى خلافته، يعرف لغير المسلمين حقوقهم فى أمور الحياة، وأيضًا فى أمور الدين، حتى إنه يرفض أن يصلى فى كنيسة خشية أن يتخذها المسلمون مسجدًا.

إلا أن هذا الخليفة العادل دبّر له اليهود مؤامرة أودت بحياته، نفذها شاب نصرانى يقال له «أبو لؤلؤة فيروز» وشارك فى المؤامرة قائد جيش الفرس «المرزبان» والذى أُسر عند فتح المدائن، وجىء به إلى المدينة فى خلافة عمر.

---

(١) سورة التوبة: آية ٦٠.

(٢) راجع حياة الصحابة كتاب عدل النبى ﷺ وأصحابه باب عدل عمر ١٠٩/٢، ١١٠ وتربية الأولاد فى الإسلام ١٣٣/١ فى علاج البطالة.

• مقتل عثمان:

ويتآمر اليهود على الإسلام، ويتنقل عبد الله بن سبأ اليهودى المتآمر يتنقل بين المدن الإسلامية ـ الكوفة، والبصرة، ومصر ـ يؤلب الناس على عثمان هذا الخليفة العادل الكريم، حتى اجتمع عليه عدد من الأوغاد وقتلوه.

• مقتل على:

على بن أبى طالب أحد الخلفاء الراشدين، كان مع الحق أينما كان، ما جار علَى يهودى ولا علَى نصرانى. ذهب مرة إلى السوق فوجد درعه[١] مع نصرانى فما كان منه إلا أن احتكم إلى قاضى المسلمين شريح ـ وعلىٌّ هو الذى عين شريحا قاضيًا ـ إلا أن القاضى فى الإسلام يحكم بما أمر الله لا يحابى، والخليفة المسلم لا يقبل أن يُحَابَى فحكم شريح بالدرع للنصرانى!! معللا ذلك بأنه لا بينة مع على بن أبى طالب.

فقال على: صدق شريح.

فقال النصرانى: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء، أمير المؤمنين يجىء إلى قاضيه، وقاضيه يقضى عليه!! هى والله يا أمير المؤمنين درعك، اتبعتك وقد زالت عن جملك الأورق فأخذتها، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

فقال على: أما إذ أسلمت فهى لك، وحمله على فرس[٢].

على هذا الخليفة العادل المقدام يتآمر اليهود وأعداء الإسلام على الإسلام، ويكوّنوا الفرق والأحزاب المتصارعة، ومنها فرقة الخوارج هذه التى قتلت على بن أبى طالب!!.

---

(١) آلة من آلات الحرب، يلبسها المقاتل تقى صدره الضربات.

(٢) أخرجه البيهقى ١٠/ ١٣٦.

المؤامرات العامة

الناظر فى تاريخ العالم فى القرن الأول الإسلامى ويوافقه السابع الميلادى يتضح له أن أمة الإسلام يُلزمها دينُها بمكارم كثيرة، مكارم تشمل كل نواحى الحياة، أما الأمم الأخرى فهى حريصة على مصالحها المادية ليس إلا، وهى إما أمم لها دين قد أدارت له ظهرها، وإما أمم لا دين لهم.

ومن هنا فإن الأمم الأخرى تكيد لأمة الإسلام بكل صنوف الكيد، إلا أن كيدهم يتشكل حسب حال أمة الإسلام، فإن كانت أمة الإسلام قوية فإن كيد الأمم الأخرى يكون فى الخفاء، وإن كانت أمة الإسلام ضعيفة فإن كيد الأمم الأخرى يكون جهارًا نهارًا. وهذا مبدأ عام فى التاريخ كله.

لقد تآمر اليهود والنصارى وغيرهم على أمة الإسلام، وأشاعوا فيها أفكارًا خبيثة، وساعدوا على تكوين فرق ضالة، تشتيتا للأمة وإضعافًا لها، ولطالما حاولوا إشعال نار الحروب بين جماعاتها، أو أعلنوا الحرب عليها، وهَمُّهم هو صرف الأمة عن دينها، وهذه المؤامرات عديدة ومتنوعة وسردها يطول فأكتفى ببعضها:

١ ـ عن زيد بن أسلم قال: مَرَّ شاس بن قيس[١] ـ وكان شيخًا قد عسا[٢] عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم ـ على نفر[٣] من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج فى مجلسهم

(١) من يهود بنى قينقاع، ومن الطائفة التى عرفت بالكيد الخطير للإسلام.
(٢) أى كَبُر وأسن من عسا القضيب إذا يبس.
(٣) أى مَرّ شاس بن قيس على مجموعة من أصحاب رسول الله ﷺ.

قد جمعهم، يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من أُلْفتهم وجماعتهم، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بنى قَيْلة[1] بهذه البلاد، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابًا من يهود كان معهم، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث[2]، وما كان قبله. وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار. ففعل. فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا، وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الرُّكب، أوس بن قيظى ـ أحد بنى حارثة بن الحارث من الأوس، وجبار ابن صخر ـ أحد بنى سلمة من الخزرج ـ فتقاولا، ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم رددناها الآن جذعة[3]، فغضب الفريقان جميعًا وقالوا: قد جعلنا موعدكم الظاهرة ـ والظاهرة: الحرة ـ السلاح، السلاح! فخرجوا إليها. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم، فقال: يا معشر المسلمين، الله، الله. أَبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر، وألف بين قلوبكم؟! فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس، فأنزل الله تعالى فى شاس بن قيس وما صنع ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ** ﴿٩٨﴾ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ**

---

(١) قيلة جدة الأوس والخزوج والذين هم الأنصار. كناهم اليهود بجدتهم تحقيرًا.

(٢) اسم لإحدى المعارك التى كانت بين الأوس والخزرج الذين تتكون منهم جماعة الأنصار، أهل المدينة. ومعركة بعاث كانت قبل الهجرة النبوية مباشرة.

(٣) حربًا شديدة.

﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [١]، وأنزل الله فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شاس من أمر الجاهلية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٢].

هكذا أحزن اليهودىَّ ائتلافُ جماعة المسلمين، فتآمر على إلقاء الخلاف بينهم، واستطاع فعلا، وما رد كيده إلا تذكير رسول الله ﷺ لهم بالإسلام.

٢ - واليهود يجيدون التآمر، واستعمال المنافقين لأغراضهم، ومن تآمرهم على الإسلام أنهم اتفقوا على أن يتظاهر بعضهم بالدخول فى الإسلام، وبعد ساعات يرتدون إلى اليهودية، يوهمون الناس أن اليهودية أفضل، وجاءت آيات القرآن الكريم تبين ذلك:

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٣].

يقول ابن عباس فى تفسير هذه الآية: إن طائفة من اليهود قالوا: إذا لقيتم أصحاب محمد ﷺ أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فصلوا صلاتكم لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب، وهم أعلم منا، لعلهم ينقلبون عن دينهم [٤].

---

(١) سورة آل عمران: آية ٩٨، ٩٩.
(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٠٠ - ١٠٥ وهذا الحديث بقصته أخرجه ابن هشام فى السيرة ١/ ٥٥٥ والطبرى فى تفسير هذه الآيات.
(٣) سورة آل عمران: آية ٧٢.
(٤) تفسير الطبرى ٣/ ٣١٢.

هكذا يتآمر اليهود على المسلمين، يتضح من هذه الصورة من تآمرهم مدى عداوتهم للإسلام، وبغضهم الحق.

٣- حدث أن اختلف على بن أبى طالب خليفة المسلمين مع معاوية بن أبى سفيان حاكم بلاد الشام. وكانت المفاجأة أن ملك الروم طمع فى معاوية، وتدانى إلى بعض البلاد فى جنود عظيمة، وطمع فى بلاد المسلمين، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطلحن أنا وابن عمى عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكفّ، وبعث يطلب الهدنة.

وهذا موقف يوضح مدى حرص الروم (النصارى) على التدخل فى دولة الإسلام والاستيلاء على مقدراتها كما كان قبل الإسلام، وكما حدث عندما ضعفت دولة الإسلام.

ومن هذه المواقف:

١ - تآمر شاس بن قيس ووقيعته بين المسلمين.

٢ - كيد اليهود للإسلام بالدخول فيه ثم الارتداد عنه تشكيكًا للمسلمين.

٣ - محاولة النصارى التدخل فى شئون دولة الإسلام كل ذلك يدل على أن العداء من اليهود والنصارى لأمة الإسلام عداء قديم مستديم.

وأن «الإرهاب» إنما هو من فعل اليهود والنصارى، وواقع على المسلمين.

* * *

الفتوحات الإسلامية

وقد يقول قائل: إن المسلمين حاربوا وفتحوا كثيرًا من البلاد، وماذا بعد أن أخذوا بلاد فارس وبلاد الروم؟!

وأقول: إن المسلمين عرفوا عظمة الإسلام، هذا الدين الذى يجعل الحياة سعادة، ويجعل الإنسان رحمة على الإنسان، فأرادوا أن يوصلوا هذا الخير للبشرية كلها.

لقد كانت البشرية مستذلة مستعبدة، فخلصها المسلمون من كل ذلك، وأشاعوا بينها احترام الإنسان، والعدل، والحضارة.

إن الفتوحات الإسلامية لم تكن لقتل الناس، ولا لظلمهم، وإنما كانت للعدل والخير.

والناظر فى تاريخ الفتوحات يجد أنها تميزت بما يلى:

١ ـ كانت لإشاعة العدل، فلم يظلم المسلمون أحدًا، والظلم يرفضه الإسلام تمامًا، فلا ظلم بين المسلمين فى جماعتهم، ولا يظلمون أحدًا من غيرهم. والظلم أمر بغيض عند النفوس، أما العدل فأمر يُسْعِد كل نفس.

يقول المستشرق الإنجليزى ستيفن رانسمان: لقد اتصف المسلمون الغزاة الجدد بالعدالة، وهذا يتضح حين ترى شعوب البلاد المحتلة لا يحاولون طرد القادمين الجدد، والسبب ببساطة هو أنهم وجدوا حكمهم أفضل من حكم السابقين.

لقد نشر المسلمون الغزاة التسامح الدينى، ومحوا الفوارق بين الطبقات

وقضوا على الامتيازات[١].

ويقول جوستاف لوبون: لم تقل براعة الخلفاء الأولين - حكام الدولة الإسلامية - السياسية عن براعتهم الحربية التى اكتسبوها على عجل وذلك أنهم اتصلوا منذ الوقائع الأولى بسكان البلاد المجاورة الأصليين الذين كان يبغى عليهم قاهروهم[٢] منذ قرون كثيرة، والذين كانوا مستعدين لأن يستقبلوا بترحاب وحبور[٣] أى فاتح يخفف وطأة الحياة عنهم. وكانت الطريق التى يجب على الخلفاء أن يسلكوها واضحة، فعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه، وعرفوا كيف يبتعدون عن إعمال السيف فيمن لم يسلم، وأعلنوا فى كل مكان أنهم يحترمون عقائد الشعوب وعُرْفَها وعاداتها مكتفين بأخذهم فى مقابل حمايتها جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى ساداتها السابقين من الضرائب[٤].

• حكمة وحلم القادة المسلمين يفوق الوصف:

ويذكر جوستاف حقائق عظيمة عن قادة الفتح الإسلامى، فيقول: فتح القائد عمرو بن العاص الذى هو من عمال الخليفة الثانى عمر بلاد مصر فى السنة الثامنة عشرة من الهجرة (توافق ٦٣٩م) وقد ذكرنا ما كان عليه عمرو بن العاص من الحذق والمهارة نحو سكان مصر، فهو لم يتعرض إلى ديانتهم ولا إلى نُظُمهم ولا عاداتهم، ولم يطالبهم بغير جزية سنوية قدرها خمسة عشر فرنكا عن كل رأس مقابل حمايتهم، فرضى المصريون

(١) كلام ستيفن من دائرة المعارف الأمريكية ترجمة الأستاذ/ محمد على محمد ضمن كتاب الصراع الرهيب حول البيت العتيق للشيخ عبد الله الغوابى ص١٥٤.

(٢) القاهرون يقصد بهم الفرس والروم فلقد كانوا يظلمون سكان البلاد الأصليين ظلمًا شديدًا.

(٣) سرور.

(٤) حضارة العرب ص١٣٤.

بذلك شاكرين، ولم يَندَّ [١] سوى الروم، أى الجنود والموظفين ورجال الدين الذين أبوا أن يخضعوا للغزاة فالتجأوا إلى الإسكندرية، فحاصرها العرب حصارًا دام أربعة عشر شهرًا، وقُتِل فى أثنائه ثلاثة وعشرون ألفا من العرب!!.

وكان عمرو بن العاص سمحًا رحيمًا نحو أهل الإسكندرية مع تلك الخسارة التى أصيب بها العرب، ولم يقس عليهم، وصنع ما يكسب به قلوبهم، وأجابهم إلى مطالبهم وأصلح سدودهم وترعهم، وأنفق الأموال الطائلة على شئونهم العامة[٢].

ويقول: ودل ما قام به عمرو بن العاص من تنظيم مصر على عظيم حكمته. وعامل عمرو بن العاص الفلاحين بما لم يعرفوه من العدل والإنصاف منذ زمن طويل، وأنشأ للمسلمين وحدهم محاكم منظمة دائمة، ومحاكم استئناف، فإذا كان أحد الخصوم مصريًا حق للسلطات القبطية أن تتدخل. واحترم عمرو بن العاص نظم المصريين وعاداتهم ومعتقداتهم[٣].

ويقول جوستاف أيضًا: وسار عمرو بن العاص فى مصر على غرار عمر بن الخطاب فى القدس، فشمل الديانة النصرانية بحمايته، وسمح للأقباط بأن يستمروا على اختيار بطرك لهم كما فى الماضى، ومن تسامحه أن أذن للنصارى فى إنشاء الكنائس فى المدينة الإسلامية التى أسسها (القاهرة).

وإذ لم يكن للمسلمين مساجد فى مصر، وإذ زاد عدد من أسلم من

(١) يشذ.
(٢) حضارة العرب ص٢١٣.
(٣) حضارة العرب ص٢١٥.

النصارى أقام عمرو بن العاص مسجدًا جميلاً على طراز الحرم المكى، ولا يزال المسجد الشهير الذى أنشأه قائمًا مع عدم اكتراث الحكومة المصرية لتصدعه[١].

هكذا يقول العلامة الفرنسى جوستاف لوبون ويوضح أن الفتح الإسلامى كان لنشر العدل، واحترام كل الناس!.

لقد كان الفاتحون أخيارًا، يقتل الرومان والمصريون من جيش المسلمين ثلاثة وعشرين ألفًا فما انتقم الفاتحون ولا أراقوا الدماء، وإنما حلموا وصفحوا!! لقد حملوا أخلاقًا جعلت أهل البلاد المفتوحة يحبونهم حبًا جمًا، فلم تكن الفتوحات لإذلال الناس، ولا لاستغلال ثروات البلاد المفتوحة، وإنما كانت لنشر الحق، وإسعاد الإنسان.

وتقول لورافيشيا فاغليرى[٢] «كان المسلمون لا يكادون يعقدون الاتفاقات مع الشعوب حتى يتركوا لها حرية المعتقد، وحتى يحجموا عن إكراه أحد من أبنائها على الدخول فى الدين الجديد. والجيوش الإسلامية ما كانت تُتْبَعُ بحشد من المبشرين الملحاحين غير المرغوب فيهم، وما كانت تضع المبشرين فى مراكز محاطة بضروب الامتياز لكى ينشروا عقيدتهم أو يدافعوا عنها، ليس هذا فحسب، بل لقد فرض المسلمون فى فترة من الفترات على كل راغب فى الدخول إلى الإسلام أن يسلك مسلكًا لا يساعد - من غير ريب - على تيسير انتشار الإسلام، ذلك أنهم طلبوا من الراغبين فى اعتناق الدين الجديد أن يَمْثُلُوا أمام القاضى ويعلنوا أن إسلامهم لم يكن نتيجة لأى ضغط، وأنهم لا يهدفون من وراء ذلك إلى

(١) حضارة العرب ص٢١٦ ومسجد عمرو الآن عامر بالمصلين، ويحظى باهتمام الحكومة ممثلة فى وزارة الأوقاف.

(٢) باحثة إيطالية انصرفت إلى التاريخ الإسلامى قديمًا وحديثًا، وإلى فقه العربية وآدابها، من مؤلفاتها: الإسلام سنة ١٩٤٦ ودفاع عن الإسلام سنة ١٩٥٢.

أى كسب دنيوى. والواقع أن اليهود والنصارى لم يُمْنَحُوا حرية المعتقد الدينى فحسب، بل عُهد إليهم فى تولّى المناصب الحكومية حين كانت مؤهلاتهم الشخصية من القوة بحيث تلفت انتباه الحاكمين»[١].

هكذا العدل واحترام الناس فى الفتوحات الإسلامية، لم أكتبه من رأيى ولم أنقله من كتابات أحد علماء الإسلام، وإنما أنقله من كتابات باحثين غربيين، ومستشرقين غير مسلمين أو أسلموا، كلها تبين أن الفتوحات الإسلامية قامت على العدل واحترام الإنسانية.

إن المنصفين من مثقفى الغرب حينما يعرفون شيئًا عن الإسلام ينبهرون به كدين، وبحكامه كحملة رسالة سامية:

يقول إدوين كالغرلى[٢] «لم يحمل المسلمون أثناء غزواتهم المنتصرة أحدًا من المسيحيين أو اليهود على اعتناق الإسلام، فلقد أقر الإسلام لأهل الكتاب بحرية ممارسة شعائر دينهم بشرط دفع الجزية. وكل ما طالبهم به هو أن يسلموا للدين الجديد بالسيادة المدنية والسياسية التى تمثلت فى الدولة الإسلامية».

ويقول «احتفظ المسلمون للأقليات غير المسلمة فى البلاد التى فتحوها بحقوقهم وامتيازاتهم الدينية».

ويقول «فى القرآن آية كريمة تفيض بالصدق والحكمة يعرفها المسلمون جميعًا ويجب أن يعرفها غيرهم وهى ﴿**لا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ**﴾[٣]..»[٤].

(١) دفاع عن الإسلام ص٣٥، ٣٦ نقلاً عن كتاب: ماذا قالوا عن الإسلام ص٢٩٩.

(٢) عضو البعثة العربية التى نظمتها الكنيسة فى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٩ - ١٩٣٠ ومحاضر فى مدرسة كنيدى للبعثات. راجع كتاب ماذا قالوا عن الإسلام ص٢١٦.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٥٦.

(٤) كلام إدوين كالغرلى من كتاب ماذا قالوا عن الإسلام ص٣٠١ نقلاً عن الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته بإشراف كويلر يونج ص١٦٣، ١٦٤.

ويقول المؤرخ الألمانى متز: لقد كان الإسلام متسامحًا مع الأديان الأخرى ليس فقط مع المسيحية أو اليهودية، ولكن مع المجوس كذلك[1].

ويقول المستشرق الإنجليزى ستيفن رانسمان: لقد نشر المسلمون الغزاة التسامح الدينى، ومحوا الفوارق بين الطبقات، وقضوا على الامتيازات[2].

* * *

وهكذا يتضح أن الفتوحات الإسلامية لم تكن حربًا، وإنما كانت عدلاً، فلا يظلم أحد، ولا إكراه على الإسلام. إنها فتوحات سامية، وأعمال راقية، ارتقت بالبلاد المفتوحة رقيًا عظيمًا.

لقد ارتقت الفتوحات الإسلامية بالبلاد المفتوحة، فرفعت ظلم السادة عن العبيد، وعرفت للعبيد والخدم حقهم، وسوّت بين الناس، وحاربت الطبقات. واحترمت كل إنسان، ورحمت كل مخلوق.

٢- وامتازت الفتوحات الإسلامية بالعلم والحضارة!!

فلم تكن غوغائية ولا همجية، لم تكن مدمرة ولا جاهلة.

لقد أشاعت العلم والحضارة، وارتقت بالبلاد المفتوحة كل الرقى، فعرفوا للإنسان حريته وكرامته، وأضافوا لذلك أساليب الحياة الكريمة، والسلوك المتحضر.

يقول موريس بوكاى «علينا أن نتذكر أنه فى عصر عظمة الإسلام أى بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر من العصر المسيحى، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمى فى بلداننا المسيحية، انجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية. فى ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافية عظيمة، ففى قرطبة كانت

(١، ٢) صراع حول البيت العتيق ص١٥٤ مترجمًا عن دائرة المعارف الأمريكية.

مكتبة الخليفة تحتوى على أربعمائة ألف مجلد، وكان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد أوربا للدراسة فيها. ولكم هى كثيرة تلك المخطوطات القديمة التى وصلت إلينا بواسطة الأدباء العرب ناقلة بذلك الثقافة إلى البلاد المفتوحة ولكم نحن مدينون للثقافة العربية فى الرياضيات، فالجبر عربى، وكذا علم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا، وعلم النباتات، والطب إلى غير ذلك. لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية فى جامعات العصر الوسيط الإسلامية. فى ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرًا بالروح الدينية مما هم عليه فى عصرنا[1]، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا فى آن واحد مؤمنين وعلماء. كان العلم الأخ التوأم للدين لكم كان ينبغى على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك»[2].

هكذ كانت الفتوحات الإسلامية ـ كما يقول الدكتور/ موريس بوكاى المسيحى ـ تملأ البلاد المفتوحة علمًا وحضارة، وتبذل ذلك لأهل البلاد المفتوحة ولغيرهم.

كانت الفتوحات تملأ البلاد المفتوحة بعلوم العرب، وما أبدعته القريحة العربية من علوم وحضارة.

والعلم فى الإسلام قرين الدين، فلا تضاد ولا تناقض، وإنما الدين يحث على العلم، ويسير به فى طريق الخير والمصلحة الإنسانية.

ويقول ديبورا بوتر «إنه لا [روجر بيكون] ولا من جاء بعده من الأوربيين له أى فضل فى اختراع الطريقة التجريبية، فلم يكن روجر بيكون إلا تلميذًا من الذين نهلوا من العلوم الإسلامية، واقتبسوا طريقتها وكانوا رسلها إلى أوربا المسيحية، وكان لا يفتأ يعلن أن الإلمام باللغة

(١) الحاضر آخر القرن العشرين.

(٢) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ص١٤٠، ١٤١.

العربية والعلوم العربية هى السبيل الوحيد لمعاصريه نحو المعرفة الصحيحة»[١].

ويقول هورتن «إن العرب فى القرون الوسطى حتى عام ١٥٠٠ بعد الميلاد كانوا تقريبًا سادة أوربا، وإن الفكرة التى تزعم أن الإسلام لا يمكن أن يتفق مع الحضارة الحديثة نشأ من جهل بهذه العقيدة.

فنحن نجد فى الإسلام العلم والدين جنبا إلى جنب، والإسلام هو الدين الوحيد الذى عقد رباطًا وثيقًا مع العلم والمعرفة. للإسلام استعداد لا حد له لتقبل الثقافة حتى لو كانت غير إسلامية»[٢].

ويقول جوستاف لوبون «وللفتوح العربية طابع خاص لا تجد مثله لدى الفاتحين الذين جاءوا بعد العرب، وبيان ذلك أن البرابرة ـ الذين استولوا على العالم الرومانى ـ والترك وغيرهم وإن استطاعوا أن يقيموا دولاً عظيمة، لم يؤسسوا حضارة، وكانت غاية جهودهم أن يستفيدوا بمشقة من حضارة الأمم التى قهروها، وعكس ذلك أمر العرب الذين أنشأوا بسرعة حضارة جديدة كثيرة الاختلاف عن الحضارات التى ظهرت قبلها، والذين تمكنوا من اجتذاب أمم كثيرة إلى دينهم ولغتهم فضلاً عن حضارتهم الجديدة.

واتصلت بالعرب أمم قديمة كشعوب مصر والهنود، واعتنقت معتقدات العرب وعاداتهم وطبائعهم وفن عمارتهم. واستولت بعد ذلك الدور أمم كثيرة على الأقطار التى فتحها العرب فظل نفوذ العرب فيها ثابتًا، ويلوح لنا رسوخ هذا النفوذ إلى الأبد فى جميع البقاع الأسيوية والإفريقية التى دخلوها والتى تمتد من مراكش إلى الهند.

(١) قالوا عن الإسلام ص٣٤٧.

(٢) مترجم عن دائرة المعارف الأمريكية. صراع حول البيت العتيق ص١٥٦.

والأسبان وحدهم هم الذين استطاعوا أن يتخلصوا من الحضارة العربية، ولكنهم لم يصنعوا هذا إلا ليقعوا فى الانحطاط العضال»[١].

هكذا كانت الفتوحات الإسلامية ـ باعتراف آخرين ـ فتوحات أمة متحضرة تشيع العدل، والتقدم، والحضارة أينما حلت، وحيثما كانت.

• الحضارة الإسلامية:

على أن حضارة الفتوحات الإسلامية كانت حضارة عامة، بمعنى حضارة الإنسان وحضارة أساليب الحياة،وهى بهذا تفوق كل الحضارات، فالحضارات الأخرى تعنى بأساليب الحياة ولا تعنى بالإنسان!!

لقد ارتقت حضارة الإسلام بالإنسان فى عموم شخصه، فكونت منه إنسانًا بكل معانى الإنسانية، يتعاون مع الآخرين، ويرحم الآخرين، ويعمل بصدق، ويخلص بحق، له أخلاق كريمة نابعة من عقيدة قويمة، ومن هنا أعطى الفاتحون ولم يبخلوا، وصدقوا وأخلصوا، وكانوا أمة الخير والحق والحضارة بكل معانيها.

فها هو زيد بن حارثة يُخْطَف من أهله ويُباع عبدًا،وتشتريه أم المؤمنين خديجة وتقدمه لرسول الله ﷺ قبل البعثة يخدمه، وتمر السنون، ويتعرف أهل زيد عليه، ويأتون إلى رسول الله ﷺ ويطلبون عودة زيد إلى أهله، ويوافق رسول الله ﷺ على ذلك، وكانت المفاجأة أن زيدًا يرفض العودة إلى أهله، ويفضل البقاء مع رسول الله ﷺ!! وما ذلك إلا لما فى الإسلام من احترام الإنسان كل إنسان.

* ويقف رسول الله ﷺ لجنازة، ويقول الصحابة له: إنها جنازة

(١) حضارة العرب ص١٣٥، ١٣٦.

يهودى. فيقول ﷺ: «أليست نفسًا؟».

إنه احترام الإنسانية لذات الإنسانية:

- يُحترم الإنسان حيًا وميتًا!

- يُحترم الإنسان وإن اختلف معى فى الدين!!

- يُحترم الإنسان مهما كان بيننا من خصومات!!

* وحينما يجاهد المسلم فى سبيل الله، فإن الإسلام يرسم له منهاجًا فى غاية الرقى، من ذلك قول الله تعالى: ﴿**وَقَاتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (٢).

ويوصى رسول الله ﷺ جيش المسلمين فيقول «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، لا تقتلوا شيخًا فانيا، ولا طفلاً صغيرًا، ولا امرأة، ولا تغلوا، وضُمُّوا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»(٣).

ويقول ﷺ «لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»(٤).

* ويوصى أبو بكر يزيد بن أبى سفيان قائد جيش المسلمين فيقول له: لا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخرب عامرًا، ولا تعقرن شاة ولا بعيرًا إلا

(١) سورة البقرة: آية ١٩٠.

(٢) سورة الأنفال: آية ٦١.

(٣) أخرجه أبو داود.

(٤) أخرجه أحمد.

لمأكلة، ولا تعقرن نخلاً ولا تحرقه.

* ومَرّ عمر بن الخطاب على قوم من النصارى قد أصيبوا بمرض الجذام فأمر لهم بعطاء «معاش» من بيت مال المسلمين.

* ويحتكم على بن أبى طالب وهو خليفة المسلمين إلى قاضى المسلمين فى شأن درع[1] له سرقه يهودى، ويجتمع الخصمان على بن أبى طالب خليفة المسلمين واليهودى ويجلسان أمام شريح. وشريح يعدل، وعلىٌّ يمتثل مما جعل اليهودى ينبهر بأفعال المسلمين ويسلم[2].

* ويشتكى أهل سمرقند إلى خليفة المسلمين - عمر بن عبد العزيز - أن جيشه لم يعاملهم المعاملة المعروفة عن الفاتحين، فيُعَيِّن الخليفةُ قاضيا بين أهل سمرقند وجيش المسلمين، هذا القاضى إنما هو أحد جنود جيش المسلمين، ويظن أهل سمرقند أن الجندى سيحابى قائده وأمته، مما سيجعلهم يجتمعون على معبودهم النار ضد المسلمين. لكن كانت المفاجأة لهم أن القاضى قضى بالعدل فحكم على قائده وعلى جيش المسلمين، مما جعل أهل سمرقند يُسْلِمون جميعًا[3].

ولا يسمح المقام بذكر الكثير من مزايا الفتوحات الإسلامية، وإنما حسبنا الميزة التالية:

٣ـ حب أهل البلاد المفتوحة للمسلمين: فإن المتابع لتاريخ الفتوحات الإسلامية يجد أن أهل البلاد المفتوحة أحبوا المسلمين حبًا عظيمًا، حتى اختاروا أن يحكمهم المسلمون عن أن يحكمهم أهل دينهم.

(١) آلة حرب تقى صدر الجندى ضربات أعدائه.
(٢) أخبار القضاة ٢/ ٢٠٠.
(٣) الكامل لابن الأثير ٤/ ١١٥.

* كتب المسيحيون فى الشام إلى أبى عبيدة وهو فى معسكر فى فِحْل[١] يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا[٢].

* وأغلق سكان حمص أبواب مدينتهم حتى لا يدخلها جيش هرقل، وأعلموا المسلمين أن عهدهم وولايتهم أحب إليهم من ظلم الرومان وتعسفهم[٣].

* وفى موقعة الجسر سنة ١٣هـ كاد المسلمون ينهزمون هزيمة ساحقة وهم محصورون بين الفرات والجيش الفارسى، وإذ بزعيم مسيحى من قبيلة طىء ينضم إلى المثنى القائد المسلم ويساعده فى النجاة والحركة المنظمة.

* ورحب المصريون بالفاتحين المسلمين لما وجدوه من عدل وسماحة، بعد ظلم الروم الشديد لهم، فلقد قتل جستنيان الرومى من أهل مصر مائتى ألف فى الإسكندرية، واضطر الكثيرون للهرب فى الصحراء، حتى بطريق الكنيسة، فلما جاء عمرو بن العاص أمَّنهم وكتب أمانا للبطريق.

* إن أحد قواد الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٣٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) أمر بجلد إمام ومؤذن لأنهما اشتركا فى هدم معبد من معابد المجوس، لتستخدم أحجاره فى بناء مسجد مكانه.

* إن المسلمين كانوا يفتحون البلد ثم يغادرونه لفتح بلد آخر فلِمَ لَمْ ينقلب عليهم أهل البلاد المفتوحة؟ الجواب: لأنهم وجدوا دينًا عظيمًا وسلوكًا قويمًا، وجدوا عدلاً وكمالاً.

---

(١) موضع بالشام.

(٢) فتوح الشام للأزدى البصرى ص٩٧.

(٣) فتوح البلدان للبلاذرى ص١٣٧.

* يقول توماس أرنولد: إن المسيحيين أحرزوا ثروات ضخمة، وتمتعوا بنجاح عظيم فى عصور الإسلام الأولى، بفضل ما كفل الإسلام لهم من حرية العقيدة والملك[١].

إنها فتوحات بغرض إشاعة العدل، وإعلام الناس بدين الله الإسلام، وكل من أسلم فهو مسلم كأكبر مسلم فى الفاتحين، والإسلام دين الله من آمن به اعتز به ودافع عنه، لا فرق بين قديم الإسلام وحديثه. والعربية لغة وليست عروقًا، فكل من تكلم العربية فهو عربى.

إنها فتوحات لم تعرف القتل ولا الدماء، ولا قتل الأسرى ولا النساء، ولا قتل الأطفال ولا الإماء، فتوحات لم تعرف التدمير والهدم، وإنما سمت عن كل منقصة، وخلت عن كل مسلبة، واتصفت بكل رقى، وازدانت بالسماحة والعدل. إنها الفتوحات الإسلامية.

يقول آدم متز[٢]: وقد جرت العادة منذ العصر الأول للإسلام بأن لا يسمى العبيد عبيدًا، بل يسمى العبد فتى، والأمة فتاة.. وكان من التقوى وشرف النفس أن لا يضرب الرجل عبده.. وحدث فى أول عهد الأمويين أن امرأة من حمير[٣] كانت بمصر جدعت[٤] أنف أمة لها، فقضى عبد الرحمن بن حجيرة قاضى مصر بعتق الأمة[٥].

ويقول أ/متز أيضًا: وكان تسامح المسلمين فى حياتهم مع اليهود والنصارى - وهو التسامح الذى لم يسمع بمثله فى العصور الوسطى -

(١) انتشار الإسلام لأرنولد ص٦٠.
(٢) أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل فى سويسرا توفى ١٩١٧.
(٣) يعنى أنها عربية.
(٤) يعنى قطعت.
(٥) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ١ ص٣٠٦، ٣٠٧.

سببًا فى أن لحق بمباحث علم الكلام[١] شىء لم يكن قط من مظاهر العصور الوسطى، وهو علم مقارنة الملل[٢].

ويقول أ/ متز أيضًا: ولم يكن فى التشريع الإسلامى ما يغلق دون أهل الذمة[٣] أى باب من أبواب الأعمال، وكان قدمهم راسخًا فى الصنائع التى تدر الأرباح الوافرة، فكانوا صيارفة وتجارًا وأصحاب ضياع وأطباء[٤].

ويقول أيضًا: ومن الأمور التى نعجب لها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين فى الدولة الإسلامية[٥].

هذه صور واقعية من سماحة الفتح الإسلامى ذكرتها من كلام غير المسلمين، كى أبين الفارق الرهيب بين الفتح الإسلامى وحروب غير المسلمين. وأن المسلمين كانوا أبعد ما يكون عن الإرهاب، وإنما كانوا أصحاب دين يحمل كل الرحمة لكل خلق الله.

* * *

(١) علم فلسفى عقدى.

(٢) الملل: جمع ملة وهى الدين الربانى. وكلام متز هذا فى كتابه الحضارة الإسلامية . . . ١/ ٣٨٤.

(٣) كلمة أهل الذمة مصطلح إسلامى معناه: أهل الديانات الأخرى، الذين يعيشون فى بلاد المسلمين، وأعطاهم المسلمون الأمان على أن لا يؤذوا المسلمين.

(٤) الحضارة ص٨٦.

(٥) الحضارة ص١٠٥.

استمرار المؤامرة على الإسلام

وظلت الأمم الأخرى فى تآمرها على الإسلام والمسلمين، وكان من ذلك الكثير والكثير، من ذلك:

١ ـ الحروب الصليبية

وهى حروب بدأت سنة ١٠٩٥ إلى ١٢٩١ قرابة مائتى عام متواصلة، ثم على فترات إلى الآن!!.

تآمرت دول الصليب من أوربا على الإسلام، وجمعوا جموعهم، وأعدوا عدتهم للعدوان على دول الإسلام، وبخاصة موانئ بلاد الشام.

ويعنينى هنا مواقفهم فى القتل والتدمير، أذكر أبشعها، ليظهر مصدر الإرهاب:

عندما نزل جيش الصليبيين المكون من مائة ألف جندى آسيا الصغرى سنة ١٠٩٦ اقترف من الجرائم نحو المسلمين والنصارى[١] ما لا يصدر عن غير المجانين من الأعمال الوحشية، وكان من أحب ضروب اللهو إليهم قتل من يلاقون من الأطفال، وتقطيعهم إربا إربا[٢]، وشيِّهم[٣]، كما روت [آن كومنين] بنت قيصر الروم.

هذا الكلام لم أقله أنا، ولا قاله أحد علماء الإسلام، وإنما قاله جوستاف لوبون[٤].

---

(١) النصارى المقتولون غير القاتلين، فالقاتلون كاثوليك. يقتلون من سواهم من النصارى.

(٢) قطعًا قطعًا.

(٣) من شوى يشوى.

(٤) فى كتابه حضارة العرب ص٣٢٤.

الصليبيون يقتلون من يلاقون ولو كان طفلاً، وأحب أنواع اللعب عندهم تقطيع وشَىّ الأطفال!!

● وحينما دخل الصليبيون القدس فى ٣ رمضان سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩/٧/١٥ م فعلوا بالمسلمين الأفاعيل وسأترك لمؤرخى النصرانية وقسسها ليصفوا لنا شيئًا من ذلك:

يقول كاهن مدينة لوپوى، ريموند داجيل:

«حدث ما هو عجيب بين العرب عندما استولى قومنا على أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل ما يمكن أن يصيبهم! وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلى القذف بأنفسهم من أعلى الأسوار. وحرق بعضهم فى النار فكان ذلك بعد عذاب طويل، وكان لا يرى فى شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس العرب وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا..».

وروى ذلك الكاهن خبر ذبح عشرة آلاف مسلم فى مسجد عمر!! فعرض الوصف الآتى:

«لقد أفرط قومنا فى سفك الدماء فى هيكل سليمان، وكانت جثث القتلى تعوم فى الساحة هنا وهنالك، وكانت الأيدى والأذرع المبتورة تسبح كأنها تريد أن تتصل بجثث غريبة عنها، فإذا ما اتصلت ذراع بجسم لم يعرف أصلها، وكان الجنود الذين أحدثوا تلك الملحمة لا يطيقون رائحة البخار المنبعثة من ذلك إلا بمشقة»[1].

ويقول جوستاف لوبون:

(١) حضارة العرب ص٣٢٦، ٣٢٧.

«ولم يكتف الفرسان الصليبيون الأتقياء[١] بذلك، فعقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه على إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى[٢]، الذين كان عددهم نحو ستين ألفًا فأفنوهم عن بكرة أبيهم فى ثمانية أيام، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا ولدا ولا شيخًا.

وأراد الصليبيون أن يستريحوا من عناء تذبيح أهل القدس قاطبة فانهمكوا فى كل ما يستقذره الإنسان من ضروب السكو والعربدة، واغتاظ مؤرخو النصارى أنفسهم من سلوك حماة النصرانية مع اتصاف هؤلاء المؤرخين بروح الإغضاء والتساهل، فنعتهم[٣] [برنارد الخازن] بالمجانين وشبههم [بودان] الذى كان رئيس أساقفة دول: بالفروس التى تتمرغ فى الأقذار»[٤].

هذا كلام مؤرخى النصارى وقساوستهم يخبرون بقتل النصارى سبعين ألفا من المسلمين، وتقطيع أوصالهم: رؤوسهم وأرجلهم، وأيديهم، وهذه الأجزاء وتلك الجثث تعوم فى بحار الدم.. ويخبرون أيضًا بتقطيع الأطفال وشى لحومهم!!.

وقتل الصليبيين سبعين ألفًا من المسلمين فى معركة واحدة، أمر مجمع عليه بين المؤرخين، سواء من النصارى الذين سبق أن ذكرت كلامهم ـ أو المسلمين، ومنهم:

الحافظ ابن كثير إذ يقول: وفى ضحى الجمعة ٢٣ شعبان سنة ٤٩٢هـ أخذت الفرنج بيت المقدس وكانوا فى نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا فى

(١) كلمة «الأتقياء» أطلقها المؤلف من باب التهكم والسخرية.
(٢) خوارج النصارى يريد بهم الذين هم على غير كنيسة روما.
(٣) وصفهم.
(٤) حضارة العرب ص٣٢٧.

وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار.

ويقول ابن الجوزى: وأخذوا من حول الصخرة اثنين وأربعين قنديلاً من فضة زنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم. وأخذوا تنورًا من فضة زنته أربعون رطلاً بالشامى. وثلاثة وعشرين قنديلاً من ذهب[1].

ويقول ابن الأثير: وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفًا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة نيفا وأربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ٣٦٠٠ درهم، وأخذوا تنورًا من فضة وزنه أربعون رطلاً. وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلاً نقرة، ومن الذهب نيفا وعشرين قنديلاً، وغنموا منه ما لا يقع عليه الإحصاء.

وورد المستنفرون من الشام فى رمضان إلى بغداد فأوردوا فى الديوان كلامًا أبكى العيون وأوجع القلوب. وقاموا بالجامع يوم الجمعة فاستغاثوا وبكوا وأبكوا، وذُكر ما دَهَمَ المسلمين بذلك البلد الشريف المعظم من قتل الرجال، وسبى الحريم والأولاد، ونهب الأموال، فلشدة ما أصابهم أفطروا[2]!!

هذا ما فعله الصليبيون بالمسلمين فى إحدى المعارك، وسيأتى أن المسلمين حينما انتصروا عليهم لم يقتلوا منهم واحدًا!!

* * *

(١) البداية والنهاية ١٢/ ١٦٨، ١٦٩.

(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٨/ ٤٢٥.

● وفى الحروب الصليبية الثانية عزم القائد [ريجلند] على غزو بلاد العرب!!

وهدم قبر النبى ﷺ فى المدينة!!

ودك أبنية الكعبة فى مكة!!

وأبحرت قواته فى البحر الأحمر نحو المدينة!!

فوفق الله صلاح الدين فى قيادة سرية مصرية باغتت ريجلند وقوته وهزمتهم[١].

وراح ريجلند يعيث فى المنطقة العربية فسادًا، وكان مما قال: إذا كانوا يثقون بمحمد فليأت محمد لينقذهم[٢].

وحينما علم صلاح الدين بأفاعيل ريجلند هذه ومقولته تلك أعلن الجهاد على المسيحيين. ووفق الله جند المسلمين بقيادة صلاح الدين القائد المسلم الذى على هَدْى محمد ﷺ فكانت موقعة [حطين] فى ٤/٧/١١٨٧ والتى انتصر فيها المسلمون. ودخلوا بيت المقدس بعد أن احتلها الصليبيون قرابة تسعين عامًا.

* * *

● وفى الحرب الصليبية الثالثة سنة ١١٩٢ استولى الصليبيون بقيادة الملك الإنجليزى [رتشرد الأول الملقب «قلب الأسد»] على عكا من مدن الشام، وأسروا [٢٥٠٠ مسلم] وأمام سور المدينة قام رتشرد بقتلهم جميعًا!!.

وأيضًا ترك رتشرد جنوده يعيثون فى المدينة [عكا] فسادًا[٣]!!

(١) قصة الحضارة ١٥/٣٥.
(٢) قصة الحضارة ١٥/٣٦.
(٣) قصة الحضارة ١٥/٤١.

● وفى الحرب الصليبية الرابعة نزل أسطول الصليبيين مدينة القسطنطينية فى يونيو سنة ١٢٠٣ وحدث أن رأى بعض الجنود جماعة من المسلمين يصلون فى مسجد مقام فى مدينة مسيحية فثارت ثائرتهم، وأشعلوا النار فى المسجد وقتلوا المصلين، وظلت النار مشتعلة ثمانية أيام، وامتدت إلى مسافة ثلاثة أميال، وأحالت جزءًا كبيرًا من القسطنطينية رمادًا وأنقاضًا.

هذا الكلام لم أقله أنا الشيخ الأزهرى، ولم يقله مؤرخ مسلم، وإنما قاله ول ديورانت فى كتابه «قصة الحضارة»[1].

* * *

● مقارنة بين الصليبيين والمسلمين:

المؤرخون من مسيحيين وغيرهم يقارنون بين:

أ - فتح الصليبيين (المسيحيين) بيت المقدس.

ب - وفتح المسلمين بيت المقدس.

أ - فحينما فتح الصليبيون بيت المقدس فعلوا بالمسلمين الأفاعيل، فقتلوا وأكثروا القتل!!

ونهبوا بكل نهم!!

ومثّلوا بكل قسوة.

لقد قتلوا سبعين ألفا من المسلمين مرة واحدة فى ساحة المسجد الأقصى، وارتفعت الدماء فى ساحة المسجد قدر متر، قتلوا الشباب والشيوخ، والأطفال والنساء!!.

---

(١) جـ ١٥ ص ٥٠.

ونهبوا أموال المسلمين، وأموال المسجد الأقصى!!.

ومثّلوا بالمسلمين فقطعوا أياديهم وأرجلهم ورؤوسهم!!.

يقول جوستاف لوبون: ويدل سلوك الصليبيين فى جميع المعارك على أنهم من أشد الوحوش حماقة، فقد كانوا لا يفرقون بين الحلفاء والأعداء، والأهلين العُزّل والمحاربين، والنساء والشيوخ والأطفال.

وقد كانوا يقتلون وينهبون على غير هدى.

ونرى فى كل صفحة من الكتب التى ألفها مؤرخو النصارى فى ذلك الزمن براهين على توحُّش الصليبيين[1].

أما المسلمون فحينما فتحوا بيت المقدس وانتصروا على الصليبيين أيام صلاح الدين ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م فإنهم لم يؤذوا مسيحيًا ولا غيره، وإنما تعهد صلاح الدين أن يحافظ على أرواح المسيحيين وأموالهم[2].

٢ ـ وليس الفارق هنا أن الصليبيين قتلوا والمسلمين لم يَقْتُلوا، لا. وإنما الفارق أن الصليبيين قتلوا دون مبرر والمسلمين لم يقتلوا مع وجود المبرر، فالصليبيون سبق أن قتلوا [٧٠٠٠٠] من المسلمين، وهذا مبرر كافٍ لأن يقتل المسلمون كل صليبى. لكنه الإسلام، الذى يمنع قتل الإنسان إلا إذا رفع السلاح، أما الصليبيون فليس لهم مبرر فى هذا القتل، فلم يسبق أن قتل المسلمون منهم أحدًا ظلمًا.

٣ ـ أما النهب!!

أما التمثيل!!

أما قتل الأسرى!!

(١) حضارة العرب ص٣٢٥.

(٢) قصة الحضارة ص٣٧.

فهذه أمور ما فعلها المسلمون أبدًا على طول تاريخهم، وإنما كانت خصوصية لأهل الصليب وغيرهم.

٤ ـ وفى المواقف الإنسانية نجد الصليبيين لا يعرفونها!!

أما المسلمون فهم أهلها[1]!!

* **فصلاح الدين:**

ـ يتفاوض مع الصليبيين حينما انتصر عليهم، ويعطيهم أكثر مما يتمنون ويوفى لهم. أما هم فيقابلون هذا بالانقلاب عليه.

ـ ويعلن احترامه لمدينة القدس.

ـ ويؤتى بالملك [جاى] أحد قادة الصليبيين الوحوش إلى صلاح الدين فيقدم له الشراب تأنيسا له واحترامًا للإنسانية.

ـ ولما علم صلاح الدين أن قائد الصليبيين فى الحملة الثالثة ـ رتشرد الأول يحارب ماشيًا بعث إليه بجواد من عنده، فقد كان صلاح الدين يُنْزِل الناس منازلهم كما علمنا الإسلام.

ـ وحينما انهزم رتشرد سار وحربته مدلاة إلى جانبه، ولم يقتله المسلمون!

ـ ومرض رتشرد وطلب فاكهة وشرابًا باردًا ولم يكن ذلك عنده فأبلغ الصليبيون صلاح الدين وهم يعرفون كرم أخلاقه فأرسل على الفور الفاكهة والماء البارد إلى رتشرد «قلب الأسد» قائد الحملة الصليبية ملك إنجلترا الشاب!!

ـ ولما فتح صلاح الدين مدينة بيت المقدس، وانتهت المعركة بأسر

---

(١) راجع قصة الحضارة تأليف ول ديورانت حـ١٥ ص٣٧ ـ ٤٤.

كثيرين من الصليبيين وجدنا فى المسلمين كرمًا عظيمًا، فلقد طلب [العادل] أخو صلاح الدين أن يُهدى إليه ألف عبد من الفقراء الذين لم يستطيعوا دفع الفدية، فلما أجيب إلى طلبه، كانت المفاجأة أن أطلق سراحهم جميعًا!

*** أما صلاح الدين فلقد:**

- أعتق كل كبار السن الذين لا يستطيعون دفع الفدية!
- وأعتق زوجات وبنات النبلاء الذين قُتلوا أو أسروا فى المعركة (حطين)!
- أكرم هؤلاء الإناث فأطلق من كان فى الأسر من آبائهن وأزواجهن!
- أكرم الملك [جاى] ففك أسره، وكل أهله!
- أما النساء والبنات اللاتى قتل أزواجهن وآباؤهن فقد وزع عليهن من ماله الخاص ما أطلق ألسنتهن بحمد الله، وبالثناء على ما عاملهن به صلاح الدين من معاملة رحيمة نبيلة.
- أثّر كرم صلاح الدين فى الملك [جاى] والنبلاء الذين أطلق سراحهم فأقسموا ألا يحملوا السلاح ضده مرة أخرى. ولكنهم - وللأسف - ما كادوا يصلون إلى طرابلس وإنطاكية المسيحيتين حتى أحلهم رجال الدين من يمينهم وأخذوا يدبرون الخطط لقتل صلاح الدين وجيش المسلمين.
- حينما استولى المسلمون على بيت المقدس لم يمنعوا اليهود والنصارى من دخولها، وإنما ساعدوا حجاجهم وأمّنوهم على أنفسهم وأموالهم.
- حينما فتح المسلمون مدينة بيت المقدس ظهرت حضارتهم فأزالوا آثار الدمار الذى أنزله الصليبيون بالمدينة، وحلوها وزينوها ونظفوها[١].

(١) راجع كتاب «قصة الحضارة» تأليف ول ديورانت حـ١٥ ص٣٧، ٣٨.

• قصة إنسانية:

ومن إنسانية جيش المسلمين ما ذكره المؤرخون من أن امرأة من جيش الصليبيين فقدت رضيعها ابن ثلاثة أشهر، فحزنت عليه حزنا شديدًا، واشتكت إلى ملوك الصليبيين فقالوا لها: إن سلطان المسلمين رحيم القلب، وقد أذنَّا لك أن تذهبى فتشتكى أمرك إليه. فجاءت إلى السلطان فأنهت إليه حالها، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه، ثم أمر بإحضار ولدها، فإذا هو قد بيع فى السوق، فأمر بدفع ثمنه إلى المشترى، ولم يزل واقفا حتى جىء بالغلام فأخذته أمه وأرضعته ساعة، وهى تبكى من شدة فرحها وشوقها إليه، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمة[1].

وعند المقارنة بين موقف جيش المسلمين من هذه الصليبية برد ابنها عليها، وإعادتها إلى جيشها على فرس مُكَرَّمَة وبين موقف جيش الصليبيين والذى كان فى قمة الوحشية، حتى كانوا يتلذذون بقتل أطفال المسلمين وشيهم، كما سبق أن ذكرت من كلام قساوستهم ومؤرخيهم، عند المقارنة بين الموقفين يظهر الفارق العظيم، ويظهر أن جيش المسلمين كان فى غاية السمو والإنسانية.

***

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ٣٦٤.

٢ - المغول والتتار

«المغول» أو «التتار» قبائل كثيرة من الترك، مساكنهم جبال الطمغاج من نحو الصين، ويتنقلون فى الهضبة الأسيوية الشاسعة التى تمتد من أطراف الصين إلى أواسط آسيا، باحثين عن الرزق والمراعى.

إنهم سكان جبال، أجسامهم قوية، يجيدون الكر والفر، على أقدامهم أو على الدواب.

وفى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى استطاع [جنكيز خان] أحد زعماء هذه القبائل أن يُكَوِّن منهم وحدة واحدة، أصبحت أقوى قوة فى الأرض، عاثوا فى الأرض فسادًا، ليسوا طلاب حكم، وإنما يدمرون كل ما يقابلونه، همتهم هزيمة من يرونه ثم الاستيلاء على الثروات والسير بها، وربما ثقلت الثروات عليهم فيحرقونها، أقوام فى غاية الغلظة والقسوة، ضد الحضارة، وأعداء التقدم، أخافوا أهل الأرض خوفًا لم يحدث من قبل ولا من بعد، وقتلوا أعدادًا من البشر فوق الحصر. وأحرقوا من الممتلكات الكثير والكثير، وهدموا من الأبنية كل غال.

لقد استطاعوا بقيادة [جنكيز خان] هذا أن يجتاحوا معظم الصين وبلاد التركستان حتى حدود إيران فى أقل من عام!!.

ومات [جنكيز خان] وهم على أبواب عاصمة العالم الإسلامى، فخلفه حفيده [هولاكو] فزحف على العالم الإسلامى، واستولوا على عاصمته بغداد فى ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.

* **المغول والصليبيون والبوذيون:** وهجمة المغول على العالم كانت فى أواخر الحروب الصليبية، وسمع بهم الصليبيون فخافوهم، كما خافهم

[البوذيون] من أهل القارة الأسيوية، فما كان من هاتين المجموعتين - الصليبيين والبوذيين - إلا أن أخذوا فى توجيه المغول إلى دولة الإسلام، يغرونهم بخيراتها، ويشجعونهم على حكامها.

لقد كان الصليبيون يخافون أن يُعْرَضَ الإسلامُ على المغول فيقبلونه ويسلموا، فلو أسلموا لقوى الإسلام جدًا، وبخاصة أن قومًا من جنس المغول وهم السلاجقة سبق أن أسلموا، وأصبحوا لصالح الإسلام، وكلاهما من الترك.

لقد بذل الصليبيون كل ما فى وسعهم لكسب المغول إلى صالحهم، فأغروهم بوصف بلاد الإسلام بالخير والثراء، وأغروهم بالنساء، ودخلت المرأة الصليبية بيوت قادة المغول، فتزوج [جنكيز خان] فتاة نصرانية، كما تزوج آخرون من فتيات نصرانيات، وهؤلاء الفتيات كن يعرفن دورهن، فهى تؤثر على المغول من داخل بيوتهم فتغريهم بغزو بلاد الإسلام، وتحاول جذبهم إلى النصرانية.

وفعلاً اتجه المغول نحو بلاد الإسلام، فكان كثير من الشّر والهلاك، إنهم:

- استولوا على بخارى، وقتلوا من أهلها عشرين ألفًا!!
- واستولوا على سمرقند، وقتلوا من أهلها سبعين ألفًا!!
- واستولوا على قزوين، وقتلوا من أهلها أربعين ألفًا!!
- واستولوا على مرو، وقتلوا من أهلها سبعمائة ألف!!

لقد دمروا كل ما وصلت إليه أيديهم:

- يهدمون المصانع ويقتلون العمال!!
- يحرقون البيوت على أصحابها!!

- يحرقون الزراعات والبساتين!!

- يحرقون المكتبات ومراكز المعرفة[١]!!

واستمر المغول فى زحفهم على البلاد الإسلامية، وقد أسلم منهم الكثيرون، إلا أن هؤلاء المسلمين استقروا وتركوا العنف. أما غيرهم فاستمر فى حربه وتدميره، وحينما أرادوا الاستيلاء على مصر، وقف لهم المصريون وأعزهم الله ونصرهم عليهم وذلك فى موقعة عين جالوت من أرض فلسطين سنة ٦٥٨هـ سنة ١٢٦٠م.

وكانت تحت الحكم المصرى، ثم انطلق المصريون خلف المغول، وهزموهم مرة أخرى فى قيسارية بآسيا الصغرى.

وظل المغول يحاولون الاستيلاء على مصر لكن دون جدوى، مما معه:

- استقر النصر لمصر على المغول.

- أتعبت مصر المغول فاضطروا للعودة إلى بلادهم سنة ٦٣٤هـ[٢].

- أنقذت مصر الحضارة الإنسانية، ودفعت عنها شر المغول، ولولا ذلك لما بقيت حضارة.

وبعد مائة سنة من همجية المغول هذه، تغيرت دولتهم وأصبحوا مجتمعًا مسلمًا، وتعلموا حضارة الإسلام!.

إلا أنه ما كادت هذه المجموعة تترك طريق الدمار إلا جاءت مجموعة أخرى من أبناء أعمام المغول، أو من أبناء جلدتهم من التتار بقيادة [تيمورلنك] ففعلت ما فعل المغول وزيادة، أرهقت البشرية ودمرت الحياة!

(١) اقرأ الكامل لابن الأثير ١٠/ ٣٣٤ والبداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٧٩، ٨٣، ٨٨، ٩١، ٩٩، ١١٨، ١٢٣.

(٢) راجع البداية والنهاية ١٢/ ١٣٩.

لقد كان [تيمورلنك] يسعد كثيرًا حينما يكلف نساء الأسر العريقة الأسيرات أن يخدمن ضيوفه وهن عاريات، وأزواجهن من الملوك والأمراء أسرى يرون ذلك!! ألا ما أخسه!

وكان يسعده أيضًا أن يرى الأكوام من جثث القتلى أمامه!! ألا ما أوحشه.

ومن رحمة الله تعالى بالبشرية أن عرف المغول والتتار الإسلام، ودخل الكثيرون منهم فيه، فهذبهم الإسلام وارتقى بهم.

والمغول والتتار هذه القبائل التركية هم أصحاب الدول الإسلامية التى كانت ضمن [الاتحاد السوفيتى] والتى هى الآن: أوزبكستان، وتركستان، وطاجكستان، وقرغستان، وقازاكستان، وتركمانستان.

ومما ينبغى معرفته أن هذه الدول أسلم أهلها قديمًا، إلا أن تاريخها ليس شائعًا بين المسلمين، كما أن تاريخ كثير من البلاد الإسلامية فى الشرق ليس شائعًا أيضًا!!.

ومن العجب أن روسيا النصرانية تفرض حكمها على هذه الدول، وتتنكر لإسلامها وحرياتها، ثم إذا انفرط عقد الاتحاد فإن روسيا لا تزال تبسط نفوذها على هذه الدول.

وهكذا يتضح أن الإرهاب جاء من [المغول] و[التتار] الوثنيين، وبتآمر الصليبيين والبوذيين، وأن المسلمين كانوا الأمة المظلومة التى وقع الإرهاب عليها، وكانوا الأمة التى تحافظ على الإنسانية والخير، وأن الإسلام هو الدين الذى أصلح المغول والتتار، هذه القبائل التركية الوحشية، استطاع الإسلام الارتقاء بها. لكنه وللعجب ما أن هدأ هؤلاء إلا توحشت روسيا عليهم. هذه الدولة التى تقتل الكثيرين من البشرية تحت شعارات خداعة!!.

فتوحات الخلافة العثمانية

بعد الحروب الصليبية هدأت أوربا، وقامت الخلافة الإسلامية العثمانية، وراح العثمانيون يفتحون البلاد للإسلام شرقًا فى آسيا، وغربًا فى أوربا. ولقد كانت هذه الفتوحات على نهج الفتوحات الإسلامية التى كانت فى القرن الأول الهجرى/ السابع الميلادى. بمعنى أنه على الرغم من تأخر زمن هذه الفتوحات، وعلى الرغم من أن جيوشها ليسوا عربًا، على الرغم من كل ذلك فلقد كانت على النهج الإسلامى، لم تكن مدمرة ـ كالحروب الصليبية ـ وإنما كانت عدلاً وحقًا، كانت صورة مشرقة فى جبين المسلمين.

* يقول توماس أرنولد: إن المسلمين المنتصرين العرب عاملوا المسيحيين بتسامح عظيم منذ القرن الأول للهجرة، واستمر هذا التسامح فى القرون المتعاقبة ونستطيع أن نحكم بحق أن القبائل المسيحية التى اعتنقت الإسلام قد اعتنقته عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون فى وقتنا هذا بين جماعات المسلمين لشاهد على هذا التسامح[١].

* ويقول الحبر ميشون: مما يؤسف له أن المسلمين هم الذين كانوا يبدءون المسيحيين بالمسالمة وحسن المعاملة، مع أن المسالمة هى منبع الخير بين الأمم بعضها وبعض[٢].

* ويقول جوستاف لوبون: كان يمكن أن تُعمى فتوحُ العرب الأولى

---

(١) «الدعوة إلى الإسلام» لتوماس أرنولد ص٥١.
(٢) «الإسلام» للكونت هنرى دى كاسترى ص٤٨.

أبصارهم، وأن يقترفوا من المظالم ما يقترفه الفاتحون عادة، ويسيئوا معاملة المغلوبين، ويكرهونهم على اعتناق دينهم الذى كانوا يرغبون فى نشره فى العالم، ولو فعلوا ذلك لتألبت عليهم جميع الأمم التى كانت غير خاضعة لهم بعد، ولأصابهم مثل ما أصاب الصليبيين عندما دخلوا بلاد سورية مؤخرًا. ولكن العرب اجتنبوا ذلك، فلقد أدرك الخلفاء السابقون ـ الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده فى دعاة الديانات الجديدة ـ أن النظم والأديان ليست مما يُفْرض قسرًا، فعاملوا ـ كما رأينا ـ أهل سورية ومصر وإسبانية وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم، غير فارضين عليهم سوى جزية زهيدة فى الغالب إذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقًا، فى مقابل حفظ الأمن بينهم، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا مثل دينهم[١].

* ويصف فولتير الفيلسوف الفرنسى المشهور موقف المنتصر المسلم من المهزوم المسيحى بقوله: إن الأتراك لم يسيئوا معاملة المسيحيين كما نعتقد نحن، والذى يجب ملاحظته أن أمة من الأمم المسيحية لا تسمح أن يكون للمسلمين مسجد فى بلادها، بخلاف الأتراك فإنهم سمحوا لليونان المقهورين بأن تكون لهم كنائسهم... ومما يدل على أن السلطان محمد الفاتح كان عاقلاً حليمًا تركه للنصارى المقهورين الحرية فى انتخاب بطريقهم. ولما انتخبوه ثبته السلطان وسلمه عصا البطارقة وألبسه الخاتم، حتى صرح ذلك البطريق عند ذلك بقوله: إننى خجل مما لاقيته من التبجيل والحفاوة الأمر الذى لم يعمله ملوك النصارى مع أسلافى[٢].

(١) حضارة العرب ص٦٠٥.

(٢) دائرة معارف القرن العشرين للأستاذ فريد وجدى حـ٢ ص٥٦٦، ٥٦٧.

هذا كلام مسيحيين مؤرخين، وفلاسفة، وقساوسة يبين مدى عظمة الفتوحات الإسلامية فى القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلادى. وإنما سقته من كلامهم ليكون أقطع، والفضل ما شهدت به الأعداء.

إنهم يعترفون بعظمة أمة الإسلام، وأنها أمة لا تطغى ولا تتجبر، إنها أمة لا تظلم ولا تقهر، وإنما أمة تعدل وتنصف، وترحم وتحلم.

إن عندى من أقوالهم فى عظمة الفتوحات الإسلامية، وعظمة أمة الإسلام، وعظمة دين الإسلام، عندى فى ذلك الكثير والكثير، لكنى أكتفى بذلك لمقتضيات حجم البحث. ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التى ذكرتها.

* * *

محاكم التفتيش

من سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٣م إلى سنة ١٢٣٥هـ/١٨٣٥م

فتح المسلمون بلاد الأندلس بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد، وملأ المسلمون هذه البلاد عدلاً وعلمًا، فكل الناس أحرار فى دينهم ودنياهم، والتقدم العلمى على أشده.

لقد أشاع المسلمون فى الأندلس كل أنواع التقدم، من زراعة، وصناعة، وتجارة، وطب، وعلوم، مما جعل الأندلس تزدهر ووسائل الحياة تتقدم فى الأبنية، ووسائل الانتقال، والنظافة، وغير ذلك. وأصبح الإنسان مكرمًا معتنى به فى مظهره وصحته، ومحترمًا فى شخصه وفكره.

والمؤرخون عمومًا يثنون كثيرًا على دور العرب العظيم فى تقدم الأندلس، ويذكرون فى ذلك الكثير والكثير، لكنى أكتفى من أقوالهم بأمرين:

يقولون: فى الوقت الذى كان اليهودى يُتَصَيّد فى أيام الآحاد بعد الصلوات، ويحرق فى الميادين العامة فى أوربا الوسيطة لتأكيد لعنة المسيح عليه السلام، فى هذا الوقت كان اليهودى فى بلاد الأندلس - تحت إمرة المسلمين - ينعم بالراحة والاطمئنان، والطمأنينة والأمن والأمان، ويبحثون عن هويتهم، ويفكرون ويكتبون، ويساهمون فى أنشطة الأندلس، وفى مختلف دروب المعرفة، يتولون المناصب، ويمارسون كل المهن[1].

---

(١) حوار حول الحاضر بالماضى عبر الأندلس د/ رشدى فكار ص٨.

* ويقولون: لقد غص الأندلس بمخطوطاته العربية إلى حد أن [الكردينال خمينيث دى سيسنيروس ١٤٣٦م - ١٥١٧م] فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى جمع المخطوطات العربية فى باب الرملة بغرناطة وأحرقها، وكانت تقترب من المليون مخطوط لم يُبْق منها إلا على مائة وخمسين مخطوطًا فقط فى الطب[1].

وابتليت الأندلس بمحاكم التحقيق، والتى اشتهرت باسم «محاكم التفتيش»!! وهذا النوع من المحاكم يديره رجال الدين المسيحى «الكاثوليكى» فى الكنيسة!!

نشأت هذه المحاكم فى فرنسا سنة ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م وشاعت فى كثير من دول أوربا.

ومهمة هذه المحاكم فرض الكثلكة!! بمعنى: فرض المسيحية الكاثوليكية على كل من على أرض الدولة التى بها هذه المحاكم.

وهذه المحاكم تُعَذِّب من ليس كاثوليكيا بكل صنوف العذاب، ثم يُقْتل بأبشع طرق القتل!!

يتولى ذلك رجال الكنيسة، بموافقة حاكم هذه الدولة!!

وزاد نفوذ هذه المحاكم فطغت، واضطهدت كل من ليس بكاثوليكى، وصبت جحيم عذابها على المسلمين، وطال غيرهم من المسيحيين غير الكاثوليك، ومن اليهود، ومن أصحاب الفكر، الذين لا يُسَلِّمُون للكنيسة فى كل شىء!!

(١) المصدر السابق ص٩١ وورقة ثقافية ص٣٢٢.

• ويظهر إرهاب هذه المحاكم وبشاعتها من خلال النقاط الآتية:

١ - إذلال الناس:

فصدر مرسوم يقضى بأن يسجد المسلمون فى الطرقات إذا مر بهم حبر كاثوليكى!

- وحولت المساجد كنائس، ومُنِعَت الصلاة العلنية، ومن يُضْبَط يتوضأ يُعاقب!.

- وأُرغم الناس على الكثلكة.

- وأُخذ أبناء المتنصرين عبيدًا عند الكاثوليك، الشباب منهم والكهول. أما الأطفال فأُخِذُوا إلى مدارس اللاهوت.

- وصُودرت أملاك المسلمين.

مَنْ ظهر عليه أى أثر من الإسلام فإنه يحال إلى محاكم التفتيش والتى تسومه سوء العذاب، ونهايته أن يقتل شر قِتْلة!!.

* فمن ضبط مرتديًا ملابس نظيفة يوم الجمعة يحاكم.

* ومن ضبط فى بيته لحم يوم الجمعة يحاكم.

* ومن لبس الملابس الإسلامية يحاكم.

* ومن لبست الحجاب تحاكم وكذلك وليها يحاكم.

* ومن ذكر اسم النبى ﷺ يحاكم.

* ومن لم يسب النبى ﷺ حين يذكر يحاكم.

* ومن لا يشرب الخمر يحاكم.

* ومن لا يتعامل بالربا يحاكم.

* ومن صام فى رمضان يحاكم.
* ومن لم يأكل فى نهار رمضان يحاكم.
* ومن رفض أن يأكل لحمًا لم يذبح يحاكم.
* ومن أوثق الماشية لذبحها يحاكم.
* ومن قال باسم الله يحاكم.
* ومن ختن أولاده يحاكم.
* ومن سمى أولاده بأسماء عربية يحاكم.
* ومن أقسم بالله أو بالقرآن يحاكم.
* ومن امتنع عن لحم الخنزير يحاكم.
* ومن غسل ميتًا أو وضعه فى الأكفان يحاكم.
* ومن وضع شيئًا أخضر على قبر يحاكم.
* ومن ترحم على مسلم يحاكم.
* ومن ذكر مسلمًا بخير يحاكم.
* كل من تشتبه المحكمة فى عقيدته، وأنه ليس ثابتًا فى الكاثوليكية، فإنه يحاكم!!.

طريقة المحاكمة:

يقول الأستاذ/ أحمد رائف: تبدأ قصة المسلم المتهم الماثل أمام ديوان التحقيق (التفتيش) ببلاغ، أى بلاغ من أى شخص ذى صفة أو غير ذى صفة. وأحيانًا يوعز أحد الأساقفة إلى أى أحد بتقديم بلاغ ضد شخص لسبب لا علاقة له بالدين أو السياسة.

وبعد البلاغ المقدم ضد المسلم تجمع التحريات والمعلومات، وقد يكون الاتهام قد نتج عن معلومة وردت فى قضية أخرى، وكان يمكن التبليغ بواسطة الاعتراف الذى يسمعه القس، ولا ينبغى للقس أن يكتم معلومات قد تلقاها عن طريق الاعتراف إلى مجلس التحقيق الأعلى أو من يمثله، ذلك المجلس الذى كان يخشاه ويحسب له كلٌّ حساب أىٌّ شخصية مهما عظمت بعد الملكين الكاثوليكيين.

بعد التحريات تعرض نتيجة التحقيق المبدئى على لجنة من الأحبار، كل هذا قد يتم فى ساعة من زمن.

وكل إجراءات التحقيق تتم فى سرية تامة. وكل القائمين على العمل فى الديوان، أو اللجان المنبثقة منه مشهود لهم بخراب الذمة وقسوة القلب وسوء الخلق والفساد، وجميعهم من الأحبار والرهبان.

يتم القبض على المتهم، ويقيد بأغلال حديدية غاية فى الثقل، ويودع سجون الديوان، وهى غاية فى الفظاعة والسوء، ومن يدخل هذه السجون لا يخرج منها فى الأغلب إلا ميتًا، والقليل الذى ينجو يُحقَّر حتى يبتعد الناس عنه، ولا يتعاملون معه.

وتصادر أملاك المتهم ويديرها الديوان لحسابه، لحين الفصل فى قضيته، والذى قد يكون بعد سنوات، وبخاصة إذا كان المتهم غنيًا.

ويدفع المتهم مصاريف سجنه، وهى باهظة التكاليف حتى إنها أغلى من أى فندق فى العالم فى هذه الآونة.

يقبض على المتهم وهو لا يعرف التهمة المنسوبة إليه، وإنما يحضر ثلاث جلسات فى ثلاثة أيام متوالية، الغرض منها استخراج ما عنده من معلومات عن نفسه وأهله وعارفيه، مما يفيد محاكم التفتيش فى مهمتها.

إذا رفض المتهم التهمة الموجهة إليه، فإنه يحال إلى التعذيب ليعترف، وإذا اعترف فإنه يعذب ليستخرج ما عنده من معلومات، فهو معذب مهما كانت الظروف[١].

لقد كان الديوان يعذب المسلم ولو تنصر!!

ثم طلب أحد رجال الديوان قتل المسلمين عمومًا، معللاً ذلك أنهم لا يعرفون من هو صادق في تنصره ومن هو كاذب. وبكل بساطة نفذ ذلك!!

ومن صور الإذلال: أنه سمح للمسلمين ببيع ممتلكاتهم في بعض الأحيان، لكنهم حظر عليهم اقتناء الذهب، مما جعلهم يتركون ممتلكاتهم ويهاجرون.

ومن صور الإذلال أيضًا: أنه اتفق على إخراج المسلمين من الأندلس، ثم راح الكاثوليك يسلطون عليهم قطاع الطرق، وعشاق الظلم. وراحوا أيضًا يمنعون عنهم مراكب الرحيل، وبذلك مات الكثير من طالبي الهجرة، يقدر بعض المؤرخين أن قطاع الطريق قتلوا ثلاثة أرباعهم!!

٢- تعذيب الناس:

ولقد تفننت محاكم التفتيش في تعذيب الناس، وبخاصة المسلمين، وأسرفت في ذلك وغالت، ومن قرأ أخبارها لا يمكن أن يصدق أن هذه الأفعال يمكن أن تقع من أسوياء، إنها أفعال تفوق الخيال مهما غالى في القسوة، إنها إجرام لم يسبق له مثيل في تاريخ البشرية، وضعه قساة متسابقون في ابتكار أفانين الإجرام!!.

(١) ورقة ثقافية ٦ تذكروا من الأندلس الإبادة ص٣٤٣.

● كانوا يعذبون المسلم بأنواع شتى من التعذيب:

* تعذيب بالماء، وفيه يرغم المتهم المقيد بشرب كميات كبيرة من الماء برغم أنفه حتى يموت!!.

* وتعذيب بالتعليق، بأن يعلق المتهم من ذراعيه أو من رجليه، وقد وضعت أثقال الحديد على جسمه!!

* وتعذيب بالأسياخ المحماة فى القدمين!!

* وتعذيب بالصفائح المحماة على الجسم!!

* وتعذيب بطحن العظام!!

* وتعذيب بفسخ الأرجل!!

* وتعذيب بخلع الفك!!

* وتعذيب بانتزاع اللسان من الفم!!

* وتعذيب بانتزاع أثداء النساء من صدورهن بكلاليب حديدية حادة!!!

* وتعذيب بمجالد من الحديد الشائك لجلد المعذبين وهم عرايا حتى يتناثر اللحم من العظم!!

* وتعذيب بالسحب طويلاً على أرض من حديد شائك، حتى يقطع لحم المتهم، بل وتتآكل عظامه!!.

٣ ـ قتل الناس:

يقول جوستاف لوبون: كانت محاكم التفتيش تأمر بإحراق كثير من المُعَمَّدين على أنهم من النصارى، ولم تتم عملية التطهير بالنار إلا

بالتدريج لتعذر إحراق الملايين من العرب دفعة واحدة!! ونصح كردينال طليطلة ـ التقى[1] ـ الذى كان رئيسًا لمحاكم التفتيش بقطع رؤوس جميع من لم يتنصر من العرب رجالاً ونساء وشيوخًا وولدانا. ولم ير الراهب الدومينيكى «بليدا» الكفاية فى ذلك فأشار بضرب رقاب من تنصر من العرب، ومن بقى على دينه منهم!! وحجته فى ذلك أن من المستحيل معرفة صدق إيمان من تنصر من العرب، فمن المستحب إذن قتل جميع العرب بحد السيف لكى يحكم الرب بينهم فى الحياة الأخرى ويدخل النار من لم يكن صادق النصرانية منهم، ولم تر الحكومة الأسبانية أن تعمل بما أشار به هذا الدومينيكى الذى أيده الإكليروس فى رأيه، لما قد يبديه الضحايا من مقاومة، وإنما أمرت فى سنة ١٦١٠م بإجلاء العرب عن أسبانية، فقُتل أكثر مهاجرى العرب فى الطريق، وأبدى ذلك الراهب البارع «بليدا» ارتياحه لقتل ثلاثة أرباع هؤلاء المهاجرين فى أثناء هجرتهم، وهو الذى قتل مائة ألف مهاجر من قافلة واحدة كانت مؤلفة من ١٤٠٠٠٠ مهاجر مسلم، حينما كانت متجهة إلى أفريقية.

وخسرت أسبانية بذلك مليون مسلم من رعاياها فى بضعة شهور، ويقدر كثير من العلماء، ومنهم سيديّو عدد المسلمين الذى خسرتهم أسبانية منذ أن فتح فرديناند غرناطة حتى إجلائهم الأخير بثلاثة ملايين، ولا تعد ملحمة سان بارتلمى إزاء تلك المذابح سوى حادث تافه لا يؤبه له.

ولا يسعنا سوى الاعتراف بأننا لم نجد بين وحوش الفاتحين من يؤاخذ على اقترافه مظالم قتل كتلك التى اقترفت ضد المسلمين.

ومما يرثى له أن حرمت أسبانية عمدًا هؤلاء الملايين الثلاثة الذين كانت

(١) كلمة «التقى» وصف يراد به استبشاع فعله.

لهم إمامة السكان الثقافية والصناعية. انتهى كلام جوستاف لوبون[١].

هكذا يقتلون بالملايين!!.

٤ - تحريق الناس:

وبالغت محاكم التفتيش فى إحراق المسلمين!!

وبأبشع السبل أحرقوا!!

ولأكبر عدد ممكن أحرقوا!!

ووصل الأمر أن من مات من التعذيب فإنه أيضًا يحرق، حتى لا يعرف له قبر ويا ويل من ظهرت عليه أى أمارة من إشفاق على من تشعل فيهم النيران!! يحضرون الأهل والأقارب أثناء حرق من هو منهم، وعليهم أن لا يظهروا أى نوع من التأثر.

يقول الأستاذ/ محمد على قطب[٢]:

● **حَفْلَةُ حريق!!!**

كان يتقدم الموكب كاهن يرتدى حُلَّةً بيضاء، ويحمل صليبًا أسود فى يده، يترنّم بترانيم الموت. ويمر أوّلاً أمام عرش الملك ويعود فيقف فى الساحة؛ ثم يأتى فريق من الكهنة بثياب بيضاء وصُلْبانٍ سوداء [وكانت رمْز (ديوان التفتيش)]، ويترنّم الكهنة ويمرون أمام العرشَ ثم يقفون، ثم يمر فريق من الشعب وهم يرتدون ملابس بيضاء حاملين صلبانًا سوداء، فيفعلون مثل مَنْ سبق، ثم يمرّ المحكوم عليهم بالحرق وقد غطّتهم القاذورات والطين والأوحال التى قذفهم بها متعصبّة الناس ظانّين أنهم

(١) حضارة العرب ص٢٧٠ ـ ٢٧٢.

(٢) فى كتابه «محاكم التفتيش» من ص٨٨ إلى ص١١٩.

يمجّدون الله والدين بقذفهم أولئك المعذّبين.

وكان يحيط - بهؤلاء - السجانون وجنود الديوان والرجال المنوط بهم إجراء التعذيب، فإذا ما وصل السجناء إلى الساحة أُصعدوا إلى أكوام من الحطب عالية، وفى وسط كل كَوم صليب مثبت لكى يموت المعذّبون وهم ينظرون إلى ذلك الصليب.

ثم يرتقى رئيس المحكمة مرتفعًا أقيم فى وسط الميدان - ساحة ريْبرا - ويأخذ فى تلاوة الحكْم على معاشر الزنادقة الكُفّار!!! بصوتٍ جهورى وهو يقول:

إن هؤلاء الكَفَرة قد استحقُّوا الحرْق رجالاً ونساءً لأنهم [يهود، أوْ من المسلمين، أو من غير أتباع المذهب الكاثوليكى]، وأنهم قد استخَفُّوا بالأحكام المقدّسة، وأنهم قد اتخذوا الشيطان عدوَّ البشر وليًا وحقروا الكنيسة وهم لا يأتون ثمرًا.

لذا وجب قطعهم وحرقهم بالنار عملاً بقوْل السيد المسيح له المجْد: (من ليس معنا فهو علينْا، وأن كل شجرة لا تثمر وجب قطعها وإلقاؤها فى النار. إن الذنب ذنبهم، ودماؤهم على رؤوسهم).

وبعد أن ينتهى من تلاوة ذلك الحكم يصرخ أحد الكهنة باللاتينيّة: «المجْد لسيدتنا والدة الإله، ومبارك كل مؤمن طائع». عندها يمد الناس أيديهم لأخذ البركة.

ثم يتقدم الكاهن لآخر مرة من المجرمين وبيده صليب من العاج، ويعرض عليهم التوبة وتقبيل الصليب، فمن أبى لُعن لعنةً أبديّة، وإذا ما ساوره الخوف وقبّل الصليب ووعدهم بأن يبوح لهم بأسماء غيره مِمّن يبحث عنهم (الديوان)، وأن يُصَرِّح بما يفكر به ويعلن لهم توبته

واستغفاره، فعندئذٍ يعاد إلى السجن مرةً أخرى ليتثبّتوا من توبته.

(ويُقال إنه نَدَر من خضع من أولئك المساكين للموت)

وعندما يصدر الأمر إلى جلاّديهم بإضرام النار... يعلو صُراخهم وعويلهم، وتتصاعد روائح شئٍ من أجسادهم فى الجوّ..، وكثيرًا ما كانت جسومهم تظهر وهى تحترق سوداء؛ وتظل النيران مشتعلة ثلاث ساعات بلا انقطاع والشعب يرقص حولها والكهنة يسبّحون!! حتى تستحيل بقايا الحطب والجثث رمادًا...، فينصرف الملك وحاشيته تشيّعهم دعوات الشعب وبركات القساوسة[1].

ويقول الأستاذ/ محمد على قطب أيضًا:

● **مراسم الإحراق!**

وإذا ما حُكم بالموْت أو بالحرْق على فرد - أو أكثر - طيف بهم قبْل يوم التنفيذ بيوْميْن فى أسواق المدينة وهُم مكبّلون بالأغْلال والأصفاد مطوّقين بالسلاسل الغليظة، تحيط بهم فرقة، من الجند تسلّحوا بالسيوف والقضبان الحديدية (على هيئة النبابيت)؛ وفى خاتمة المطاف يُحشر المحكوم عليهم فى سجن واحد استعدادًا ليوْم التنفيذ.

وتأتى فرقة من جنود الديوان فى منتصف ليلة التنفيذ وعلى رأس الفرقة عرفاؤهم وقوّادهم وجماعة القساوسة فيفتح السجانون الأبواب ويخرجون أولئك البائسين، وعندما يبلغهم (نذير الشؤم) المكلف بأن ساعة العقاب قريبة لا مناص منها...

وكان المساكين يتلقون الخبر بثبات ورباطة جأش تُدهش رجال الديوان الذين يكررون النُّصْح لهم بالإقرار والاعتراف وهم يحمدون الله على

(١) محاكم التفتيش ص٨٨، ٨٩.

قُرْبهم من الراحة الأبديّة التى هى خير من عذاب السجون.

وبعد الانتهاء من طلب الاعتراف وطلب الغفران، تكمم أفواهُ أولئك المساكين ويُلْبسون لباس الإعدام الخاص، وهو لمن حُكِم عليهم بالموْت حرْقًا: قميص أصفر غمس فى شحم أو زيت وقطران ورُسم عليه صور شياطين وأفاعٍ وتنّين..!!؟ ويوضع على رؤوسهم قُبّعات من ورقٍ عليها مثل تلْك الرسوم.

وكان السجناء الآخرون يصحبون المحكوم عليهم وقد ارتدوا لباسًا آخر.

وسبب تلك المصاحبة هو إرهابُهُم وتهديدُهم بمثل تلْك المواقف الرهيبة والمناظر المرعبة المخيفة، إذا هُم لم يُطيعوا «الديوان» فيعترفوا للمحكمة.

ومع انبثاق الفجر يحضر إلى السجن كل رجال الديوان ليأْخُذَ كل واحدٍ منهم مكانه ويقوم بما عُهِد إليه من عمل عند تنفيذ الحكْم.

وعند الساعة السادسة صباحًا يخرج السجناء من السجن إلى الميدان الذى أمامه، فيروْن سماطًا قَدْ مُدَّ، ومائدة كبيرة فوقها ما لذّ وطاب من شتّى الطعام والخمور المعتقة!!! فيؤمرون بالجلوس إليها وتناول آخر فطورٍ لهم فى هذه الحياة الدنيا..!؟

وسبب تقديم ذلك الطعام والشراب هو أن يخدع رجال (الديوان) الشعب الجاهل المحتشد، بأنهم يعاملون سجناءَهم وغرماءهم معاملة طيبة، وأن هذا مثال، مما كانوا يُعْطَوْن فى سجونهم.

* وأيُّ إنسانٍ مُقْدِمٍ على الموْت - مثل أولئك التعساء - تكون لديْه شهيّةُ طعام أو شراب؟؟؟

إن تلْك الموائد - ولا شك - هى لون من ألوان التعذيب النفسى!!!.

وكان إلى جانب مائدة الطعام مائدة أخرى عليها أطواق حديدية،

تُوضَعُ فى الرقاب، وأخشاب توضع فى الفم، على شاكلة لجام الجياد.

فإذا ما رُفعت راية (الديوان) إشارة للبدء فى التنفيذ تقدم الجلاّدُ من الضحايا وقال لهم:

- [يا ضحايا ديواننا المقدّس!! إن هذه الأطواق الحديدية لرقابكُم، وهذه الكمامات لأفواهكم، ويلزم كلاً منكم أن يتقدَّم فيضع طوقه فى عنقه وكمامته فى فمه...].

أما أردية الرُّهبان: فملابس حمراء.. وقلائد ذهبيّة...، تسير بهم المواكب والمراكب الفخمة.

ويتقدم الملك ورجال البلاط والسلطة ورجال القضاء والعوّاد، ويَقف أُلُوف الناس لمشاهدة حَرْق (الكُفّار)!!، وقد هيئ الحطب، وأُعِدَّ كل شىْء لإِصعاد المحكومين إلى المحارق.

ويتقدّم رئيس (الديوان) من منصّة الملك الذى يقف له إجلالاً واحترامًا، هو ومن فى حضرته من أساقفة؛ ثم يقول للملك والذى يحمل فى يده صليبًا:

- يا صاحب الجلالة.

بينا تحمل فى يدك هذا الصليب المقدّس، ترانا ننتظر من جلالتكم أن تُقسموا على أن تعضدوا (الديوان المقدس) وأن تثبتوا سلطتنا فى هذه البلاد...

فيقسم الملك يمينا يمليها عليه الأساقفة أمامه...

ويستمر الرئيس فى القول:

- وأن تقسم يا صاحب الجلالة على أن كل ما يعمله ديوان التفتيش وكل ما يجريه من الأحكام إنما هو مطابق لتعاليم الكنيسة الرسوليّة

الرومانيّة، وأنه أيضًا مطابق لشرائع بلادكم التى ترمى إلى تطهير هذه البلاد من الكفرَة والزنادقة وأصحاب التعاليم الشيطانية.

فيقسم الملك أَيْضًا بما يمليه عليه القساوسة من الأَيْمان المغلّظة!!.

ويستمر الرئيس فيقول:

ـ ليُبارك الله جلالتكم وليمكّنكُم من الحكم طويلاً فى الأرض مادُمْت سَنَدًا لشرائع (الديوان المقدس)؛ وشرائع الكنيسة الرسولية الرومانية.

ثم يجلس الملك، ويتقدم كاتب (الديوان) إلى وسط الميدان ـ وكانوا يتخيّرونه رجُلاً كبير الهامة، ضخم الجثة، جهوريّ الصوت ـ فيقف على منصّة مرتفعة ويأخذ فى تلاوة صورة الحكم فى ورقةٍ فى يده، والناسُ فى صَمْت، وكأن على رؤوسهم الطير...

وبعد الانتهاء من تلاوة الحكْم، يتقدم (رئيس الديوان) ويمنح الغفران لأولئك المساكين، ويأمر بترتيل مَزْمور مطْلَعُه: [ارحمْنى يا ربُّ كما شاءت رحمتُك].

فيرتل الناس والكهنة ذلك المزمور.

مكان الحرق أو الشنق!

ومكان الحرق ـ أو الشنق ـ عبارة عن أربعة أعمدة، وأحيانًا عمود واحد، أو جذْع شجرة مرتفع، وحوله أكوام الحطب من كل جهة، على عُلُوٍّ ثلاثة أمتارٍ تقريبًا من الأرض، ويكون على هيئة مصطبة مربّعةٍ فى أعلاه، والعمودُ بارز منها.

فكانوا يوقفون المحكوم عليه إلى هذا العمود ويربطون حبلاً فى رقبته، ويربط الحبل إلى العمود، ويلُفّ الجلاد الحبل على الرقبة عدّة مراتٍ، وفى كل مرَّةٍ يشتدّ فى الضغط حتى يختنق المحكوم...، وأحيانًا كانت

الحبال تُشدّ إلى وسطه فقط إذا ما توسّل المسكين إليْهم أن لا يخنقوه... بل تُترك النيران تأكله وهو حيّ...!!

وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود!!

ثم يصعد كاهن وفى يده صليب من العاج يعرضه على المسكين ليُقَبِّله قَبْل حَرْقه، وذلك قُبَيْل إضرام النار بقليل.

وكل من مات فى سجون (الديوان) تُحْرق جثته ـ أيْضًا ـ كى لا يُعرَف له قَبْر.

وإذا ما انتهى الكاهن من مراسمه أُضرمت النيران دفعة واحدة فى الحطب، بيْنما يترنّم الكهنة ويُصَلُّون!!؟ ويبحث جواسيسهم فى وجوه الشعب يتفحّصونها، ويستمعون لما يُقال هَمْسًا، فمن تأفّف... أو أظهر عَطْفًا.. أو أبدى أى إشارة اشمئزاز...، أُلقى القبضُ عليه فى الحال، وكثيرًا ما كان يُضَمّ إلى السجناء فى الحال!!.

كل هذا يحدث والحكومة مُلْزمة بإطاعة رجال (الديوان)..، وإذا أبى حاكم إطاعة أوامر (الديوان) صَدَر أَمْر بحرمانه من الكنيسة، فيسقط كل ما لَه من حُرْمة، مهما كان شأنه، وإذا تمَّ لهم ذلك، قبضوا عليه مع أسْرته وزجُّوا بهم فى أعماق السجون، وعذّبوهم العذاب الأليم، وقد يُقضَى عليهم بالموْت شَنْقًا أو حَرْقًا.

وإذا ما تشفّع إنسان بالبابا من أجل إنسان، بعث البابا باسْمه إلى (الديوان)، ليكون عند رجال (الديوان) جُرْمًا جديدًا، وجريمةً لا تُغتفر لأنه تشفّع فيه: «الأبُ الأقدس»...

إذ كانت كل تلك الأحكام الظالمة القاسية، المغرقة فى الوحشيّة والبربريّة، إنما تصْدُرُ باسْم «الأب الأقْدس» ـ أى البابا نفسه[1].

(١) محاكم التفتيش ص١٠١ ـ ١٠٦.

وفى موضوع التعذيب والتحريق وما فى ذلك من قسوة وغلظة أسوق شهادة أحد المسيحيين على محاكم التفتيش التى كانت فى الكنيسة، ويقوم عليها الرهبان والأحبار.

يقول الأستاذ/ محمد على قطب:

● شهود عيان:

وكتب [الكولونيل «ليمونسْكى»] أحد ضباط الحملة الفرنسية فى إسبانيا قال:

[كُنْتُ فى سنة (١٨٠٩م) مُلْحقًا بالجيش الفرنسى الذى كان يقاتل فى إسبانيا، وكُنْتُ مع فرقتى - من الجيش - الذى احتل «مدريد» - العاصمة - وكان الإمبراطور نابليون أصدر مرسومًا سنة (١٨٠٨م) بإلغاء (دواوين التفتيش) فى المملكة الإسبانية، ولكن هذا الأمر أُهمل ولم يُعمل به بسبب الحالة الحربية والاضطرابات السياسية التى كانت سائدةً ذلك الوقت.

وعلى ذلك صَمّم رُهبان «الجزْويت» - اليسوعيين - أصحاب ذلك (الديوان) أن يقتُلُوا - أو يعذّبوا - كل فرنسىٍّ يقع فى أيديهم انتقامًا من ذلك القرار، وذلك لإلقاء الرُّعْب فى قلوب الفرنسيين بطريقةٍ تضطرُّهم إلى إخلاء البلاد. . . ، ليخلُو لهم الجوّ.

وبينما أسيرُ فى إحدى الليالى بين الساعة العاشرة والحادية عشرة فى شارع من شوارع «مدريد»، لا يمرّ فيه الناس كثيرًا، إذا باثنْين مسلَّحيْن قد هجما علىَّ يريدان قتْلى، فدافعْتُ عن نفسى دفاع المستميت، ولم ينجّنى منهم إلاّ سريَّة فرنسية قادمة كانت تقوم بدورياتها فى المدينة، وكانت السريّة من الخيّالة تطوف البلد طول الليل بالمصابيح لحفْظ النظام.

ولما شاهد القاتلان ذلك لاذا بالفرار. . ، وتبين لنا أن هذين الرجلين من جنود (ديوان التفتيش)!!؟؟ عرفنا هذا من ملابسهما المميّزة.

فأسرعتُ إلى الماريشال «سولت» ـ حاكم «مدريد» العسكرى حينذاك ـ وأطلعته على ما حدث. . ، فغضب الماريشال وقال: [أنا لا أشكّ بأنّ من قُتل ويُقتل من الجنود كل ليلة إنما يكون بأيدى أولئك الأشرار، ولابُدّ لنا من معاقبتهم وتنفيذ قرار الإمبراطور. . . ، والآن. . . لك أن تأخذ معك ألف جندى وأربعة مدافع وتهاجم دير (ديوان التفتيش) وتقبض على أولئك الرهبان الأبالسة، هذا إذا رأيت أن ما يُنسب إليهم من الفظائع حقيقىّ. . ، ولنقتصّ منهم بمحاكمتهم أمام مجلسٍ عسكرى].

دير ديوان التفتيش:

وعند الساعة الرابعة صباحًا ركبتُ على رأس تلك الحملة وقصدنا دير (ديوان التفتيش)، وكان يَبْعُدُ خمسة أميالٍ عن مدينة «مدريد». . . ، فلمْ يَدْر الرهبان إلاّ والجنود تحيط بديرهم والمدافع منصوبة عليه.

وكان هذا الدير عبارة عن بناء ضخم أشبه بالقلاع، ولهُ أسوار عالية جدًا تحرسها فرقة من جُنْد اليسوعيين؛ فتقدَّمْتُ من باب الدير وخاطبت الحارس الذى كان واقفًا على السُّور فوق الباب وأمرته باسم الإمبراطور «نابليون» أن يفتح الباب. . . ، وظَهَر لى أن هذا الحارس قد التفت إلى الداخل وأخذ يكلّم أشخاصًا لا نراهم. . ، ولما انتهى من حديثه عاد وأخذ بندقيّته وأطلق علينا الرصاص، ثم انهالت علينا نيران البنادق من كل جهة، فقُتل بعض رجالى وجُرح البعض. . ، عندئذ أمرتُ الجنود أن يهاجموا الدير ويقتحموه عنوةً. . لأن إطلاق الرصاص من «الجزويت» كان بمثابة رفْض، وأنهم لن يفتحوا الباب إلا بالقُوّة. . .

وانهال الرصاص على الباب، فأخذنا بإطلاق المدافع على أسوار الدير.. وعلى الباب..، وجاء الجنود بأخشاب سميكة اتخذوها متاريس لهم تقيهم رصاص جنود (التفتيش) الذى انهمر كالمطر الغزير.

وبعد أن دامت المعركة نصف ساعة فتحت ثغرة واسعة فى الحائط دخل منها الجيش وامتَلك الديْر، وكنت أنا وبعض الضباط الآخرين أول الداخلين.

(العصابة) اليسوعية:

فأسرع رُهبان اليسوعيين للقائنا مرحّبين: بوجوهٍ باشّةٍ، مستفهمين عن سبب قدومنا على هذه الحال..! كأن لم يكن من شىءٍ بيننا!!؟ ولم تكن مَوْقعة!!؟ ولم يكن قتال بيْن جنودنا وجنودهم!!؟ ثم انهالوا على جنودهم تعنيفا وتأنيبًا لمقاومتهم لنا، وقالوا لهم: إن الفرنسيين أصدقاء لنا، فمرْحبًا بِهِم!!؟

ولكن لم تَنْطل حيلتُهُم علىَّ، بل أمرْت الجنود بالقبض على أولئك القساوسة المنافقين، وعلى جنودهم، لتقديمهم لمجلس عسكرى.

وأخذنا نبحث عن قاعات التعذيب المشهورة، التى كان بها من صنوف التعذيب ما تَقْشَعِرُّ من ذكره الأبدان وتتقزّزُ منه النفوس.

وطُفْنا بغُرف الدير فرأينا ما بها من أثاثٍ فاخر ثمين، ورياش وكراسى هزّازة، وسجاجيد فارسيّة، ولوْحات ثمينةٍ نادرة، ومكاتب كبيرة....، وقد صُنعت أرض تلْك الغرف من خشب (الموجَنَة) المصقول المدهون بالشمع، وبطريقة عجيبة...

وكان شذا العطور يعبق فى أرجاء تلْك الغرف فهى أشبه بأبهاء القصور الفخمة الكبيرة التى لا تكون إلا لُملوكٍ قَصَروا حياتهم على التّرف واللهو.

وعلمنا أن تلك الروائح العطريّة كانت تنبعث من شمْع مُوقد دائمًا أمام صُوَر رجال تلْك (العصابة)!! اليسوعيّة؛ ويظهر أن الشمع قد عُجِن بماء الورْد.

وكان مجهودنا يذهب سُدًى فى محاولة العثور على قاعات التعذيب، بعد أن فَحَصْنا كل غُرف الدير وممرّاته وأقبيته، ولم نجد شيئًا يدلُّ عليها...، فعزمنا على الخروج من الديْر، وكدْنا نقنع بتقديم أولئك اليسوعيين أمام المجلس العسكرى فقط، بتهمة المقاومة، وكانوا يقسمون ويؤكدون أن وجود ما يُشاع عنهم من أمورٍ فى ديرهم ليس إلا تهمة كاذبة باطلة..، وأنها حديث خرافة..، ولكنهم يتحمّلون ذلك فى سبيل الله!!!؟؟

وصار زعيمهم يؤكّد لنا ما يقول بصوْتٍ خافت وهو خاشع الرأس، وعيناه مغرورقتان بالدَّمْع الهتون، وهى - ولا شك - دموع التماسيح.. وكادوا يخدعوننا...، فأعطيْت الجنود الأوامر بالاستعداد لمغادرة الدَّيْر، فاستمهلنى «الليفتنانْت - دى لِيلْ» وقال:

- أتَسْمَح لى يا حضرة «الكولونيل» أن أقول لك إن مهمتنا لم تَنْتَهِ حتى الآن...

فقلتُ له: ألم نفتّش كل الدير ولم نعثر على شىء؟ ففيمَ تَرْغَب؟

قال: أجل قد فتشنا..، ولكننى أرغب فى فحص أرض هذه الغرف، وأدقّق فى فحصها وامتحانها، فإن قلْبى يحدثنى بأن السرّ هو فى الأرض، وأن هذه الغرف الفخمة تستر تحتها ما جئنا نبحث عنه..!!

وعندها نظر الرُّهبان بعضهم إلى بعض نظرات ذات معنى. وأذنْت للضابط بالبحث.

فأمر الجنود - عندئذ - برفْع الأبسطة والسجاجيد عن الأرض، فرُفعت، ثم أمرهم بأن يصبُّوا ماءً بكثرة فى أرض كل غرفة على حدة، ففعلوا . . . ، وكنا نرقُب الماء فإذا بالأرض تبتلعه فى إحدى الغرف، وإذا به يتسرّب إلى أسفل، فَصَفَّق الضابط «دى لِيل» من شِدّة الفرح.

وقال: ها هو ذا الباب، انظروا . . . ، فنظرنا، وإذا الباب قد ظهر، وهو قَطْع من أرض الغرفة يُفْتح بطريقة شيطانية، بواسطة حلقةٍ صغيرة وضعت إلى جوارها رِجْل مكتب الرئيس.

وأخذ الجند فى تكسير ذلك الباب العجيب بأعقاب بنادقهم، وأحاطت فرقة من الجند بعصابة اليسوعيين الذين اصفرَّتْ وجوههم. وعلتْها غَبرة، وخارتْ قواهم من الفزع والهلع.

وفُتِحَ الباب . .

فظهر لنا سُلَّم يؤدى إلى باطن الأرض، فأسرعتُ وأخذتُ شمعة كبيرة، أطول من متْر ارتفاعًا، أُنيرت أمام صورة أحد أولئك الرؤساء لمحاكم (التفتيش) ورؤساء (الديوان المقدّس).

ولمّا هممْت بالنزول وضع أحد اليسوعيين يده على كتفى متلطّفًا، وقال لى:

- أرجوك يا بنى أن لا تحمل هذه الشمعة بيدك الملوَّثة بدم القتال، لأنها شمعة، مقدّسة؟؟!!.

فأجبْته: هذا حق - يا هذا - . . . فإنه لا يليق بيدى أن تتنجّس بلمْس شمعتكم الملوَّثة بدماء الأبرياء، وسنرى الآن من هو النجسُ مِنّا، ومن مِنّا القاتل السَّفّاك؟!.

قاعة المحكمة وعرش الدينونة:

وهبطت على السلم يتبعنى بقية الضباط والجنود شاهرى سيوفهم حتى وصلنا إلى آخر الدرج، فإذا بنا فى غرفة كبيرة مربّعة، كانت تسمى عندهم بقاعة المحكمة، فى وسطها عمود من الرخام، به حلقة حديدية ضخمة رُبطت بها سلاسل كانوا يقيدون فيها فرائسهم التى تكون رهن المحاكمة.

وأمام ذلك العمود «عرش الديْنونة» كما كانوا يسمّونه هم، وكان عبارة عن مصطبة (منصّة) عالية يجلس عليها رئيس (ديوان التفتيش)، وإلى جانبى ذلك المقعد المرتفع أماكن لجلوس جماعة القضاة، وكانت أوْطأ قليلاً من المقعد.

غرف آلات التعذيب:

ثم توجهنا لغرف آلات التعذيب وتمزيق الأجساد البشرية، وقد امتدت كل تلك الغرف إلى مسافات كبيرة، وكانت كلها تحت الأرض، وقد رأيْنا بها ما يستثير النفس ويدعوها أن تتقزّز ما عاشت، وامتدّ بها العمر.

رأينا غرفًا صغيرة بحجم الإِنسان، بعضها عمودى، وبعضها أفقىّ، فيبقى سجين العمودية فيها واقفًا على رجليه مدة سجنه حتى يقضى عليه، ويبقى سجين الأفقية ممدّدًا حتى يموت..، وتبقى الجثة فى السجن الضيق حتى تبلى ويسقط اللحم عن العظم...

ولتصريف الروائح الكريهة المنبعثة من الأجساد البالية فُتحت كُوّة صغيرة إلى الخارج.

وقد عثرنا على عدّة هياكل بشريّة لا تزال فى أغلالها سجينة مقيدة؛ أما السجناء فرجال ونساء، تتفاوت أعمارهم بين الرابعة عشرة والسبعين.

وقد تيسر لنا فكاك بعض السجناء الأحياء من أغلالهم وهم على آخر رمق من الحياة، وقد جُنّ بعضهم خوفًا وهلعًا. . . لكثرة ما لاقوا من عذاب.

وكان السجناء عرايا زيادة فى النكاية بهم، وقد اضطر الجنود أن يخلعوا أرديتهم ويستروا بها النساء السجينات.

وأُخذ السجناء إلى النور تدريجيًا لئلا تؤثر مفاجأة النور على أبصارهم.

وقد أخذ السجناء يبكون فرحًا وأخذوا يقبّلون أيدى الجنود وأرجلهم لأنهم أنقذوهم وأعادوهم إلى الحياة بعد الموت المحقق والعذاب الأليم.

آلات التعذيب!!

ولما انتهينا من ذلك، توجهنا إلى غرف آلات التعذيب، فرأينا هناك ما تقشعرّ لهوْله الأبدان:

فقد عثرنا على آلات لتكسير العظام وسحق الجسم؛ وكان يَبدأ بسحْق عظام الأرجل ثم عظام الصدر والرأس واليديْن، كل ذلك على سبيل التدريج حتى تأتى الآلة على كل الجسد فيخرج من الجانب الآخر لها كتْلة واحدة.

وعثرنا على صندوق فى حجم رأس الإنسان تمامًا، توضع فيه الرأس بعد أن تربط أيدى وأرجل صاحبها بالسلاسل، فلا يقوى على الحراك، وتُقْطر على رأسه من ثُقْب فى أعلى الصندوق نُقط الماء البارد، فتقع على رأسه بانتظام، فى كل دقيقة نُقطة. . ، وقد جُنّ الكثيرون بسبب ذلك اللون من العذاب. . قبل الاعتراف؛ ويبقى المعذب على حاله هذه حتى يموت.

وعثرنا على آلة ثالثة للتعذيب تُسَمّى: «السيِّدة الجميلة»!!! وهى عبارة عن تابوتٍ تنام فيه صورة امرأةٍ جميلة، مرسومة على هيئة الاستعداد لعناق من ينام معها، وقد برزت من جوانبها عدة سكاكين حادة..! وكانوا يطرحون المعذّب الشاب فوق هذه الصورة ويطبقون عليه باب التابوت بسكاكينه ـ بعُنْف ـ، فتمزّق السكاكين جسم الشاب وتقطعه إرْبًا إرْبًا...

كما عثرنا على عِدّة آلاتٍ لِسلِّ اللّسان، ولتمزيق أثداء النساء وسحْبها من الصدور بواسطة كلاليب حديديّة حادة، ومجالد من الحديد الشائك لِجَلْدِ المعذّبين وهم عرايا حتى يتناثر اللحم من العظْم.

وصل خبر هذا الهجوم على دير (ديوان التفتيش) إلى «مدريد»، فهبَّ أُلُوف من الناس ليروا ما حدث، وخيِّل إليْنا أنّه يَوْم الحشْر.

ولما شاهد الناس صنوف التعذيب وآلاته الجهنميّة ورأوها رأى العين، جُنّ جُنُونهم، واشتعلوا بنيران الغيظ.. وكانوا كالذى مسّه الجنّ.. فأمسكوا برئيس أولئك اليسوعيين ووضعوه فى آلة تكسير العظام.. فلمْ تُشفقْ عليه... ودُقّت عظامه دقًا، وسحقتْها سَحْقًا، وأمْسكوا كاتم سِرّه وزفُّوه إلى السيّدة الجميلة وأطبقوا عليه الأبواب فمزّقَتْه السكاكين تمزيقًا.

ثم أخرجوا الجثّتيْن وفعلوا بباقى طغْمة اليسوعيين وبقيّة الرهبان ما فعلوهُ أوّلاً.

ولم يَمْض نصف ساعة حتى قضى الشعب على ثلاثة عشر راهبًا من تلْك العصابة الآثمة؛ ثم أخذ الشعب ينهب ما فى الدَّير، وقد عثرنا على أسماء ألوف من الأغنياء فى سجلات (الديوان) السرِّية، وهم السُّراة الذين قضوا عليهم لابتزاز أموالهم؛ وكانوا يضطرونهم إلى كتابة إقرارات

تُحوَّلُ بموجبها أموالهم إلى اليسوعيين، فإذا ما تَمَّ لهُم ذلك عذّبُوهُم وقَتَلُوهم بآلاتهم.

● **أعظم يوم تاريخى شهده العالم بعد يوم الباستيل:**

ويمكننى أن أقول بأن ذلك اليوم كان أعظم يَوْم تاريخىّ شهده العالم بعد يوم (الباستيل)(١)، وقد عانق الآباء أبناءهم، والأبناء آباءهم، بعد ما مرَّ بهم من أيام العذاب، وقبَّلت النساء بناتهنّ اللواتى قُضى على عفافهن فى تلْك المطابق اغتصابًا..، وانهال التَّقْبيل على أيدى وأقْدام الجنْد، خصوصًا من النساء اللواتى انتهكت طُغمة (الديوان) - المنجَّس - عفافهن واغتصبوهُن فى تلك المطابق اغتصابًا.

والحق أقول إن القلم واللسان ليعجزان عن وصْف ما رأيناه فى ذلك الديْر من الفظاعة والبربريّة التى لا تخطر على عقل بشر سوى الشياطين الذين قد يعجزون هُم أيضًا عن الإتيان بمثْل هذه الأعمال].

[انتهى](٢).

* * *

هكذا كانت محاكم التفتيش تصنع!! تعذيب، وحرق، وإذلال فى غير ما شفقة ولا رحمة، وإنما بكل صنوف القسوة والقهر، والظلم والرعب:

* ولقد صدر مرسوم ملكى برفع أجر الجند الأسبان، وإعطاء عشرين دوقية ثمنا لرأس أى مسلم، وصار قتل المسلمين واجبًا دينيًا، وصار الأساقفة يعظون الجند ويحدثونهم عن ثواب من يقتل الكفار الملاحدة من المسلمين!!.

---

(١) يوم الهجوم على سجن (الباستيل) فى فرنسا (١٤) يوليو سنه ١٧٨٩م؛ ذكرى الثورة الفرنسية.
(٢) انتهت شهادة الضابط الفرنسى، اقتبستها من كتاب «محاكم التفتيش» ص١١٠ - ١١٩.

وكان الجنود يستسهلون قتل المدنيين القائمين فى القرى المهجورة للحصول على الدوقيات بدلاً من المخاطر مع الثوار فى الجبال!!.

وقتلوا أحد قادة المسلمين وهو عبد الله بن أمية، لكن لم يكفهم قتله!!

فحملوه على بغل ودخلوا به غرناطة حيث نفذوا فيه حكم الإعدام وهو ميت! وذلك لإرهاب الآخرين!!.

* * *

• تحطيم الحضارة:

وحطمت محاكم التفتيش كل مظاهر الحضارة فى أسبانيا!!

* فقضت على التقدم العلمى.

* وقضت على كل الازدهار الذى صنعه المسلمون من علوم وفنون وزراعة وصناعة.

* وأعادت البلاد إلى الظلام الدامس، فلا فكر، ولا رأى، وإنما إرهاب وقهر.

* وأهلكت الجانب الاجتماعى إذ جعلت أفراد الأسرة جواسيس على بعضهم، فالزوجة جاسوس على زوجها، والزوج جاسوس على زوجته، وكذا الأولاد والأقارب!.

يقول جوستاف لوبون: وكان من سرعة الانحطاط الذى عقب إجلاء العرب وقتلهم ما يمكننا أن نقول معه: إن التاريخ لم يرو خبر أمة كالأسبان هبطت إلى دركة عميقة فى وقت قصير جدًا، فقد توارت العلوم والفنون والزراعة والصناعة، وكل ما هو ضرورى لعظمة الأمم عن

بلاد أسبانية على عجل، وقد أغلقت أبواب مصانعها الكبرى، وأهملت زراعة أراضيها، وصارت أريافها بلاقع، وبما أن المدن لا تزدهر بغير صناعة ولا زراعة فقد خلت المدن الأسبانية من السكان على شكل سريع مخيف، وأصبح عدد سكان مدريد مائتى ألف بعد أن كان أربعمائة ألف!.

وصارت أشبيلية التى كانت تحتوى ١٦٠٠ حرفة كافية لإعاشة ١٣٠٠٠٠ شخص لا تشتمل على غير ٣٠٠ حرفة، وهذا فضلاً عن خلوها من ثلاثة أرباع سكانها، كما جاء فى رسالة مجلس الكورتس إلى الملك فيليب الرابع.

ولم يبق فى طليطلة سوى ثلاثة عشر مصنعًا للصوف بعد أن كان فيها خمسون، وخسرت طليطلة جميع مصانعها الحريرية التى كان يعيش منها أربعون ألف شخص، ووقع مثل هذا فى كل مكان!...

وأصبحت المدن الكبرى كقرطبة وشقوبية وبرغش كالصحارى تمامًا...

وبدت تلك البلاد التى أضاءت العالم أيام سلطان العرب خالية من أية مدرسة لتعليم الفيزياء والرياضيات والطبيعيات...[1]

وسبق[2] أن ذكرت أن الكاردينال خمينيث قام بجمع مليون كتاب، وقام بحرقها فى ميدان الرملة فى غرناطة.

وهذا يبين إلى أى مدى تقدم المسلمون بالبلاد، وإلى أى مدى كانت محاكم التفتيش ضد العلم والحضارة.

* * *

(١) حضارة العرب ص٥٨٤.

(٢) فى أول الكلام على محاكم التفتيش ص٥٤.

• ومما زاد من بشاعة محاكم التفتيش:

١ ـ أن السبب الرئيسى فيها هو سماحة المسلمين، فإن المسلمين بتسامحهم واحترامهم أهل الأديان الأخرى، أعطوا فرصة للآخرين أن يتمردوا وينقلبوا عليهم كل هذا الانقلاب.

يقول الكونت هنرى دى كاسترى: والسبب الأول فى هزيمة المسلمين هو تطرف المسلمين فى المحاسنة، لأنها سهلت العصيان للعصاة، ومهدت لبعض الأسر المستقلة فى المغرب الخروج على الجماعة فى بلاد الأندلس وبلاد المغرب، وانتهى الأمر مع المحاسنة إلى انحلال عناصر المملكة العربية.

ومن المرجح أن المسلمين لو عاملوا الأندلسيين كما عامل المسيحيون الأمم السكسونية والواندية لأخلدت إلى الإسلام واستقرت عليه، لأنها كانت مع تمتعها بحرية دينها المسيحى كثيرة الانشقاق والأحزاب[١].

هكذا باعترافهم كان خلق المسلمين من التسامح واحترام أهل الأديان الأخرى السبب الرئيسى فى طغيان الآخرين!!

٢ ـ أنه كان يديرها ويقوم بأفعالها البشعة رجال الدين والحكم، والذين ينتظر منهم الرحمة والعدل!

وقد سبق عند الكلام على «تحريق المسلمين» أن الملك ورجال البلاط والسلطة ورجال القضاء والعواد كانوا فى أوائل الحاضرين للمحارق[٢]!!.

بل إن المصادر تفيد أن الملك فردناندو الخامس كان يحرص حرصًا شديدًا على حضور هذه الحفلات، ثم يبدى إعجابه الشديد بما رأى،

---

(١) الإسلام لكونت هنرى دى كاسترى ص٤٧.

(٢) ص٦٦.

ويسرف في الثناء على الأحبار والرهبان الذين قاموا بتنفيذها. ولو حدث وتأخرت هذه الحفلات فإنه كان يسأل عن سبب تأخرها، وما كان أسهل من إجابة الملك الكاثوليكي الورع إلى طلبه!! حتى إن هذه الحفلات كانت آخر ما ذكره قبل أن يموت!!

فعندما حضرت فردناندو الوفاة في يناير ١٥١٦ كان آخر ما أوصى به حفيده شارل الخامس أن يهتم بمحاكم التحقيق، وأن يختار المحققين أصحاب الضمائر الحية، الذين يخشون الله، حتى يعملوا بإخلاص وحزم وصلابة لخدمة دين الله، والقضاء على المسلمين وإبادتهم في كل بلاد الأندلس!!

٣ ـ كانوا يغطونها بغطاء ديني، فكما سبق من كلام فرديناندو أنهم يرون في حرق المسلمين إرضاء ليسوع.

وسبق في كلام رئيس المحكمة، محكمة التفتيش في قراءته الحكم:

إن هؤلاء الكفرة قد استحقوا الحرق رجالاً ونساء لأنهم يهود أو من المسلمين أو من غير أتباع المذهب الكاثوليكي، وأنهم قد استخفوا بالأحكام المقدسة، وأنهم قد اتخذوا الشيطان عدو البشر وليًا، وحقروا الكنيسة، وهم لا يأتون ثمرًا.

لذا وجب قطعهم وحرقهم بالنار عملاً بقول السيد المسيح له المجد «من ليس معنا فهو علينا، وإن كل شجرة لا تثمر وجب قطعها وإلقاؤها في النار، إن الذنب ذنبهم، ودماؤهم على رؤوسهم»[1].

٤ ـ كانوا يسعدون بها، وينفذونها وسط حياة ناعمة!!

ففي جوار السجون المظلمة المنتنة، ذات الغرف القاتلة، والآلات

(١) تقدم في «حفلة حريق» ص٦٣.

البشعة، فى جوار ذلك غرف فسيحة، وأبهاء فخمة، وقد توفر فيها كل ألوان الرفاهية، والنعيم المقيم، فيها الرياش الفاخرة، يتقلب عليها رجال المحكمة المقدسة فى الدِّمَقْس[١] والحرير، والمقاعد الوثيرة، والأرائك والطنافس، يأكلون ما لذ وطاب، ويحتسون معتق الخمور والأنبذة، ويسكرون ويطربون على أنغام ما يصدر من فرائسهم من أنين، وصراخ من عذاب أليم[٢].

وهكذا يتضح أن الإرهاب وقع من قساة الكاثوليكية، ووقع على المسلمين وغيرهم بأبشع صورة، وبدون سبب ولا مبرر، وتحت عباءة الكنيسة، وتحت ستار الدين!! لقد استعملوا العواطف الثائرة والعقل الجماعى الغوغائى!!

ومن العجيب أن ذلك دام عدة قرون، ولا ضمير يستيقظ، ولا فكر ينتبه! يعطون أجرًا مضاعفًا على قتل الإنسان!!.

ويقتلون الميت!!

ويشعلون النار فى الناس!!

ولا مغيث ولا من ينهى!!.

يُجْمع على ذلك رجال الحكم!! ورجال الكنيسة!!

أذلوا الإنسان أيما ذل، وقتلوا بالملايين!!!

دمّروا الحياة وأسبابها، وحطموا التقدم والمدنية

وهذا هو الإجرام [الإرهاب] فى أبشع صورة.

(١) القز الأبيض، وما يجرى مجراه فى البياض والنعومة، أعجمى معرب. راجع كتاب «المُعَرَّب» للجواليقى ص١٩٩.

(٢) محاكم التفتيش ص٨١.

روسيا والإرهاب

وإذا كانت أوربا المسيحية قد أتعبت العالم بالحروب الصليبية، هذه الحروب التى كان القتلى فيها بأعداد تقشعر منها الأبدان، وبقسوة تشمئز منها النفوس، الأعداد فوق الآلاف وإنما بالمليون، ولم يرحم الإنسان بنى جنسه، قتل الصغير والكبير، قتل المرأة والرضيع، وبلغ التدمير مدى لا يتصور، فهدمت الحضارة، ودمرت العمارة، ونسى الإنسان إنسانيته!!

إذا كانت أوربا فعلت هذا فى الحروب الصليبية، فإن روسيا المسيحية لم تكن إلا أسوأ حالا، وأجرم فعلا، فلقد طغت وبغت، وعاثت فى الأرض فسادًا، وأشعلت الكثير من الحروب، وقتلت الكثير والكثير، وبأبشع الطرق وأخس الوسائل، وأهلكت ودمرت بكل وحشية وهمجية، وكان طغيانها فى مجموعه على بلاد المسلمين!!.

* لقد استولت على جزيرة القرم.

وعلى بلاد بخارى.

وعلى بلاد القوقاز ومنها الشيشان.

وعلى أذربيجان.

وعلى خوقند.

وعلى خيوة.

وعلى جمهورية «أيديل أورال».

وعلى والاش أوردو.

وهذه البلاد الإسلامية أرضها تعادل أرض روسيا تسع مرات!!

* ولقد قتل الروس أعدادًا عظيمة من المسلمين[1]!!

(١) وقتلت أيضًا من غير المسلمين، كما فى مذابح المعارضين للشيوعية، ومذابح المجر ١٩٥٦، ومذابح تشيكو سلوفاكيا سنة ١٩٦٨.

* ففى جزيرة القرم قام الروس بالاستيلاء على الأغذية ومواد المعيشة، وتركوا الناس للجوع حتى مات تسعة أعشار السكان، لقد كان سكان القرم فى سنة ١٩١٧ خمسة ملايين فأصبحوا أقل من نصف مليون، أصبحوا ٤٠٠ ألف، وعدد القتلى ٤,٦٠٠,٠٠٠ قتيل.

* وفى التركستان قتل الشيوعيون ثلاثة ملايين مسلم جوعًا فى سنة ١٩٣٤!!

وشردوا ٣٠٠ ألف مسلم!!

وقتلوا بالسلاح ١٠٠ ألف مسلم!!

وتتوالى السنون، وعدد القتلى والمشردين يزيد، حتى قتلوا رئيس الجمهورية وأعضاء الحكومة!!

* وفى بلاد القوقاز قتل لينين ١٨٠٠٠ مسلم سنة ١٩١٨.

* وفى البوسنة والهرسك بعد الحرب العالمية الأولى حرق الصرب ٢٧٠ قرية مسلمة، وقتل فيها الآلاف، وشرد ٣٠٠ ألف مسلم!!.

وفى عام ١٩٤١ ذبح الصرب ـ النصارى الأرثوذكس ـ ٦٠,٠٠٠ مسلم، وألقوا بجثثهم فى نهر الفولجا[١].

* وفى يوغسلافيا قتل الشيوعيون بعد الحرب العالمية الثانية ٢٤,٠٠٠ مسلم!!

هذه روسيا التى طالما نادت بأعلى أصواتها عن الحرية[٢]، والكفاية، والعدل، ولطالما تظاهرت بالتعاطف مع المسلمين!!

ها هى تحمل راية «الإرهاب» وبخاصة على المسلمين!!.

---

(١) وسيأتى الكلام عن حرب البوسنة سنة ١٩٩١م فيما بعد إن شاء الله تعالى.

(٢) وسيأتى الحديث عن فظائع روسيا فى الشيشان ص١٣٠.

الحرب العالمية الأولى والثانية

فى القرن الماضى ـ العشرين ـ اشتعلت حربان، يقال عليهما «عالميتان» لكثرة الدول التى طالها شر هاتين الحربين.

كانت الحرب الأولى فى تموز ١٩١٤ إلى تشرين ثانى ١٩١٨.

وكانت الحرب الثانية فى أيلول ١٩٣٩ إلى تشرين ثانى ١٩٤٥.

كانت الحرب بين ألمانيا والنمسا وبلغاريا من جهة

وبين إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا واليابان وأمريكا والصين، من جهة أخرى وفريق إنجلترا هذا يسمى «الحلفاء» وكانوا المنتصرين.

ولم يكن للدول الإسلامية فى هاتين الحربين دخل مطلقًا، فهى حرب يقال عليها «عالمية» وفى التدقيق هى «أوربية».

وحشرت فى هاتين الحربين دولة الخلافة حشرًا، وأرغمت الدول الإسلامية على الدخول فيها إرغامًا.

إن هاتين الحربين هما أبشع الإجرام «الإرهاب» فى القرن الماضى، وذلك لما يلى:

ـ بلغ عدد القتلى فى الحرب الأولى عشرين مليون قتيل!!

وبلغ عدد الجرحى والمعوقين عشرين مليون أيضًا!!

ـ وبلغ عدد القتلى فى الحرب الثانية ٥٥ مليون قتيل!!

وبلغ عدد الجرحى والمعوقين ٣٥ مليون جريح!!

وبلغ عدد المفقودين ثلاثة ملايين!!

وفى هاتين الحربين أسقطت القنبلة الذرية على مدينة هيروشيما اليابانية فى ٦/ ٨/ ١٩٤٥، وأسفرت عن ١٢٠ ألف قتيل و٨٠ ألف جريح.

وأسقطت القنبلة الذرية الثانية على مدينة نجازاكى اليابانية فى ٩/ ٨/ ١٩٤٥، وأسفرت عن ٧٥ ألف قتيل و٧٥ ألف جريح.

وبدهى أن من أنشأ هاتين الحربين فهو الإرهابى، ومُنْشِؤهُما هو أوربا، صليبيوها ويهودها، وليس للمسلمين فيهما دخل مطلقًا.

إننى لم يتحمل جسمى أن أجمع أعداد القتلى والجرحى والمعوقين.

ولم يتحمل جسمى أن أصف قوة القنبلة الذرية، وقوة نارها، وآثارها المدمرة.

وقلمى الذى اعتاد أن يكتب فى أمور الإسلام، التى هى الحق والخير، التى هى الإنصاف والرحمة، قلمى أراه يئن من سوء ما يكتب عن دمار هاتين الحربين، وينادى: أين الإنسانية؟

أين البشرية؟

أين الرحمة؟

أما تحتاج هذه لدين الإسلام يرشدها؟

بدهى، إنه ضرورى لها ضرورة تفوق ضرورة الطعام والشراب.

إن الدول الإسلامية لم يكن لها أى دخل فى إشعال هاتين الحربين، لم يكن لها دخل فى هذا «الإرهاب» الفظيع، وإنما كان لها أعظم النصيب من شؤم هاتين الحربين!!.

فلقد احتُلت البلاد الإسلامية، وتقاسمها «الحلفاء»:

ففرنسا احتلت الجزائر وتونس والمغرب.

وإنجلترا احتلت مصر والعراق.

وإيطاليا احتلت ليبيا.

وقُسِّم الشام إلى دول وضعت تحت الانتداب.

فسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى.

وفلسطين والأردن تحت الانتداب البريطانى، والذى أعطى فلسطين لليهود!!

وسيطرت بريطانيا على جنوب الجزيرة العربية وشرقها.

وراح الحلفاء يتقاسمون دولة الخلافة!!

فاستولت روسيا على المناطق شرق البحر الأسود.

واحتل اليونان أزمير وتراقية.

واحتلت إيطاليا منطقة الأناضول الجنوبى أما البوسفور والدردنيل فَتَحْت رقابة دولية.

وأصبحت هذه الدول «الحلفاء» تستنزف الدول المحتلة بكل أنواع الاستنزاف، فتستولى على خيراتها، وتسخِّر كل شىء لمصلحتها.. مع إذلال شعوبها!!

وماذا بعد سلخ تركيا من دينها ولغتها إلى العلمانية التى دمرت وخربت؟

ورضى الله عن المسلمين الفاتحين الذين احترموا مقدسات الشعوب وكرامتهم[١].

وماذا بعد فرض أخلاق غير أخلاق البلاد؟ وملابس غير ملابسها؟

وتدخلت هذه الدول فى الجيوش، والتعليم، والحدود، ونظم الحكم!!

---

(١) كما سبق أن بينت ص٢٣ وص٥١.

ويعنيني هنا ذكر قصتين:

الأولى: حينما جاءت البوارج الفرنسية لاحتلال سوريا ولبنان، لفت نظر الناس أن هذه البوارج الحربية معها بارجة تحمل «مومسات» فسألوا القائد مندهشين، ما سر هذه البارجة؟

وأجاب القائد: إن آثار هذه البوارج العسكرية يمكن أن ينمحي ويزول؟ أما بارجة المومسات فإن أثرها لا يزول!!

الثانية: حينما تجمع جيش إيطاليا للذهاب إلى ليبيا، كانوا يغنون نشيدًا، معناه:

يا أماه، أتمي صلاتك ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي. ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا، لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية، التي تجيز البنات الأبكار للسلطان. سأقاتل بكل قوتي لأمحو القرآن.

هكذا إرهاب الأوربيين!!

يحملون أسباب الفسق والانحلال إلى بلاد الإسلام، لإشاعة الانحراف والأمراض!!

وأيضًا قد لقنوا عساكرهم معلومات غاية في التضليل، فمَنْ قال إن أمة الإسلام هي الملعونة؟! ألم تشع عندهم أخلاقها؟! ألم يعرفوا سموها وإنسانيتها؟

ومَنْ قال إن الإسلام يجيز الأبكار للسلطان؟ إن هذا ليس من الإسلام ثم ولماذا يحاربون لمحو القرآن؟ هذا الكتاب الكفيل بعز البشرية وسعادتها.

هذه أوربا المسيحية واليهودية في إرهابها في الحربين العالميتين، يرتكبون أبشع الإرهاب، ومعظمه واقع على الدول الإسلامية!!

الإرهاب المعاصر

١ - حرب البوسنة والهرسك

جمهورية البوسنة والهرسك دولة أوربية مكونة من إقليمين: البوسنة فى الشمال، والهرسك فى الجنوب. ويحدها من الشرق جمهورية الصرب، ومن الغرب والشمال جمهورية كرواتيا ومن الجنوب البحر الإدرياتيكى، يفصلها عن إيطاليا، ومن الجنوب الشرقى جمهورية الجبل الأسود، يجاورها منها إقليم كوسوفو وسكان البوسنة والهرسك معظمهم مسلمون، ولا يجمعهم عرق معين وأما الصرب فهم أرثوذكس يرتبطون بروسيا

وأما الكروات فكاثوليك يتبعون أوربا والفاتيكان.

وفى منتصف سنة ١٩٩١ بدأت جمهورية الصرب حربا شعواء على البوسنة والهرسك بقصد القضاء على المسلمين، والاستيلاء على أرضهم وثرواتهم!!

وارتكبوا فى ذلك كل الجرائم!!

ورأى الكروات بمساعدة أوربا وأمريكا أن لا يحرموا من الغنيمة، فراحوا أيضًا يتخطفون البوسنيين!!

ولقد كانت هذه الحرب من أبشع ما عرفت الإنسانية، فَقَتْل المدنيين كان هدفًا أساسيًا، وإبادة المسلمين كان الغاية والمقصد!!! قرى تباد بكاملها ومدن تدمر على رؤوس أصحابها، ويُجْمَعُ المسلمون فى مكان واحد ويبادون، والإذلال والترويع والاغتصاب على أشدهم!!

إنه اعتداء صهيونى صليبى، جمع خبرات اليهود فى إبادة المسلمين وخبرات الصليبيين فى الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش وغير ذلك، وجاء ليقضى على المسلمين فى هذه البقعة، فروسيا الأرثوذكسية تساند الصرب الأرثوذكس، وأمريكا جمعت معها العديد من الدول (٢٨ دولة) للقضاء على الإسلام فى هذه البقعة، وأوربا ساعدت الصرب وناصرت الكروات.

وتتضح بشاعة هذه الحرب من خلال النقاط الآتية:

١ - الإحصائيات:

أسوق شيئًا من الإحصائيات

١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) قتيل من أبناء البوسنة والهرسك المسلمين.

١٥٠,٠٠٠ (مائة وخمسون ألف) جريح، كثير منهم قطعت أوصاله فصار معوقًا

١٠٠,٠٠٠ (مائة ألف) معتقل، قتل منهم فى خمسة أشهر ١٧٠٠٠ من التعذيب.

٤٠,٠٠٠ (أربعون ألف) معتقلة، تغتصب الكثيرات، ويؤخذ الأطفال من أمهاتهم.

٤٠٠,٠٠٠ بلا مأوى يعيشون فى خرابات ودرجة البرودة فى الشتاء ٣٠ درجة تحت الصفر.

١,٥٠٠,٠٠٠ (مليون وخمسمائة ألف) مشردون.

٣٥٠,٠٠٠ (ثلاثمائة وخمسون ألف) طفل تيتموا.

٤٠٠,٠٠٠ (أربعمائة ألف) طردوا إلى دول أوربا الأخرى.

١,٢٠٠,٠٠٠ (مليون ومائتا ألف) طردوا إلى كرواتيا.

٢ ـ شهادات البعض:

ومن ثنايا شهادة بعض الكُتّاب الأوربيين تتضح بشاعة حرب البوسنة: فلقد قالت الكاتبة الفرنسية «لوبرون»[1]: إن المساعدات الإنسانية التى يقدمها الغرب وفرنسا إلى البوسنة المنكوبة هى ببساطة مناورة خداع، فمن غير الممكن أن يتوافر ضمير طيب إذا ما انحصر الاهتمام بالناس بالإمداد والعلاج بالأدوية، وعدم القيام بأى شىء للحيلولة دون أن يتعرض نفس الأشخاص عقب ذلك للمذابح، وتستشهد الكاتبة بحكمة تنم عن مرارة قالها أحد سكان سراييفو عن المساعدات الغربية «إنهم يعطوننا فى الصباح طعامًا ثم يسمحون بأن نقتل فى المساء» ثم عتبت بشدة على اليساريين الجدد. فقالت: إنه مثلما كان المفكرون اليساريون فى الثلاثينات غير قادرين على صد الستالينية، فإن طبقة المفكرين فى التسعينات يفتخرون بتشجيع التطور الإجرامى للشيوعية القومية الصربية.

ويقول كارل جوستاف الكاتب الألمانى الذى حضر مؤتمر لندن الذى عقد فى أغسطس ١٩٩٢ بين الدول الأوربية وأمريكا بخصوص مسألة البوسنة، يقول: فى حين يضطجع العالم الغربى فى حالة من الرضى عن النفس، فإن الوسائل الإعلامية لسياسيين قياديين فى صربيا المعزولة، أو المتقوقعة معنويًا كما يتردد، يحتفلون بالنتيجة التى أسفر عنها مؤتمر لندن، باعتباره فوزًا عظيمًا لهم، وهزيمة عصيبة للعالم الإسلامى. والعجيب أن صربيا تعلن عن عدم موافقتها حتى عن الوثيقتين اللتين أصدرهما المؤتمر، واللتين تحدد فيهما الحدود، وبذلك يكون المؤتمر قد وصل إلى طريق مسدود، والذى كان من المنتظر منه أن يكون بمثابة محكمة تحاكم الصرب.

(١) وكانت تكتب من ساحات المعركة.

ثم يقول الكاتب الألمانى: والنجاح العظيم الذى سجله الجانب الصربى لصالحه يكمن فى هذا النبأ الذى مفاده أنه لا يوضع فى الاعتبار قيام الغرب وحلف الأطلنطى واتحاد دول غرب أوربا والأمم المتحدة بتدخل عسكرى ضدها ويحذر الكاتب من خديعة الصرب الذين أعلنوا أنهم سيضعون الأسلحة الثقيلة تحت سيطرة الأمم المتحدة خلال أربعة أيام، ويكشف هذا الكاتب عن خفايا هذا الوعد بأن المقصود نصب شرك جديد، وهو بقاء الأرض التى استولوا عليها تحت أيدى الصرب فى ظل رقابة الأمم المتحدة.

ويختم الكاتب حديثه بقوله: إن الآلاف من شعب البوسنة المسلمين والكروات سوف يدفعون حياتهم ثمنًا لمؤتمر لندن، وإن مئات الآلاف الآخرين سوف يفقدون وطنهم، وإن عمليات التعذيب الوحشية فى معسكرات الاعتقال ستحطم نفسية رجال البوسنة المسلمين، وتُشَرِّد النساء والأطفال[١].

ونقلت وكالات الأنباء عن صحيفة «لبيراسون» الفرنسية قالت: إن عدد حالات الاغتصاب التى ارتكبها الجنود الصرب ضد النساء المسلمات بالبوسنة والهرسك يقارب خمسة وثلاثين ألف حالة. ومعظم حالات الاغتصاب وقعت على قاصرات أمام آبائهم.

وتقول الشاعرة الأستاذة «علية الجعار»: إن أول ما يدمره الصرب عند مهاجمتهم لأى بلد هو مسجدها، ثم يعتقلون إمام المسجد، ويحضرون زوجته وبناته ويقومون باغتصابهن أمام الجميع ليلطخوا الرمز الإسلامى بالعار، ثم يقومون بقتل الشيخ، ويقتادون زوجته وأولاده إلى معسكرات الاعتقال.

---

(١) كتب هذا فى صحيفة «فرانكفورتر الجماعية» الألمانية. ونقلها مؤلفو كتاب «مأساة المسلمين فى البوسنة والهرسك من ص١١٥.

وتقول الأستاذة الشاعرة: إن النساء المسلمات المغتصبات يسألن عن الحكم الشرعى فى إجهاض أنفسهن، والتخلص من العار. ثم إنها روت مأساة طفلة فى العاشرة من عمرها تهتك جدران بطنها بعد أن اغتصبها جنود الصرب وتروى مشاهد تنفر منها النفس البشرية.

٣ ـ الأعمال الزائدة فى الإجرام:

* كتب الأستاذ فهمى هويدى فى مقال له بعنوان «سجل العار فى البوسنة» إن سيدة فى الثمانين من عمرها تدعى «إيكا هوجتش» اضطرت للهرب من قريتها بعد أن هُدم بَيْتُها! وقُتل زوجُها على مرأى منها!!، ثم ذُبح أبناؤُها الخمسة وحفيدها!!!

ثم أَجْهَزوا على كل الرجال من أسرتها!!!

لقد زار الأستاذ هويدى هذه السيدة فى ملجئها الجديد، وقد حُشِرت فى بيت واحد هى وتسعة من الأرامل بينهن زوجات أبنائها الخمسة، واثنان وعشرون طفلاً من الأيتام. اهـ كلام الأستاذ هويدى.

أى عذاب تحملته هذه العجوز، وزوجها وأبناؤها وكل رجالها يذبحون أمامها!!!؟

وأى عذاب تحمله زوجات أولادها، وأزواجهن وأبناؤهن وكل رجالهن يذبحون أمامهن!!؟

ولم هذا الإجرام الفظيع بذبح الرجال أمام الأم؟!!

* سئل أحد قادة الصرب واسمه «فوشتيك»: كم من المسلمين قتلتهم أنت شخصيًا خلال هذه الحرب؟

فأجاب: مئات كثيرة!!! كما قمت شخصيًا بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم!!! فلما نبهه محرر مجلة «دير شبيجل»

الألمانية إلى أن المعاهدات الدولية تحرم قتل الأسرى. قال: إنه لا يجد سيارات لنقل الأسرى، فأسهل طريقة وأرخصها هى التخلص منهم بالقتل!!!

* سئل «ماثى كوها ريتش» أحد جنود الجيش الصربى عما فعله بالبوسنيين فقال: كُلِّفْتُ بحراسة معسكر فى «لوكو» ضم ما بين ٣٠٠ و٤٠٠ من النساء والأطفال والعجزة، مجموعة أركان[1] كلفتنى فوق الحراسة بأن أتولى مع آخرين ذبح الأسرى!!!

صرنا فريقًا من الجزارين، كنت أضرب الأسير فوق مؤخرة رأسه، وبعد سقوطه أتولى ذبحه عن طريق غرز السكين فى رقبته، ثم نلقى بجثته فى نهر السافا، وخلال يومين قتلت ثمانين من أولئك الأسرى. وكانوا يدعوننا لاغتصاب النساء، فاغتصبت امرأة عمرها ٦٠ سنة هى أول ما صادفنى، لكنى اغتصبت بعد ذلك ١٢ فتاة أربع منهن ما بين ١٠ و١٢ سنة والأخريات ما بين ٢٠ و٢٥ سنة، أمرنى بذلك المسئول العسكرى عن منطقة بيرجكو، واسمه بوقدان يوروما رجيج.

* تناقلت وسائل الإعلام أن عددًا من الجنود الصربيين شووا طفلاً أمام والده!!! ثم أمروا الوالد أن يأكل من لحم ابنه، وإلا أطلقوا النار عليه، ولم يستطع الرجل أن يأكل لحم ابنه فأردوه قتيلا!!!.

أى إنسانية هذه؟ وأى بشرية هذه؟ وأى مدنية هذه؟ وأى تقدميّة هذه؟

وأين هذا من طفل المسيحية الذى أخذ من أمه وبيع فى السوق، فأسرعت أمه إلى صلاح الدين فقام بنفسه حتى رد الرضيع إلى أمه، وقد

---

(١) أركان هذا أحد غلاة زعماء العصابات الصربية، وقد تدربت جنوده فى إسرائيل ويطلق عليهم فى حرب البوسنة «الذئاب».

تقدم ذلك لكنى أردت أن أذكره لنقارن بين أفعال المسلمين وأفعال غيرهم لنعلم من الإرهابى؟

أكتفى بهذه النماذج والتى تدل على أن قساة الصرب بلغوا فى الإجرام [الإرهاب] أقصاه، وبلغوا فى الإفساد منتهاه!!! قَتْلُ الإنسان بالمئات والآلاف سهل ميسور، وبدون سبب يُفْعَل.

والغلظة واللا إنسانية هى شأن قوات الصرب يقتلون الرجال أمام نسائهم، ويهتكون أعراض النساء وهن فى حالات الضعف الرهيب.

٤ ـ تدميرها الحضارة الإنسانية:

لم يراع قساة الصرب المبادئ التى تتغنى بها المنظمات، ويحترمها أولو العقول، فمن ذلك أن هناك تراثًا إنسانيًا عالميًا فى البوسنة، يتمثل فى بعض المساجد التى هى من أهم الآثار هناك، ومسجلة فى اليونسكو، فراح الصربيون يهدمونها تمامًا، حتى تسوى بالأرض، ولا من مجيب ولا من عاتب، فلا الدول القوية تمنع، ولا المنظمات العالمية تعترض!!

ـ فلقد فجروا مسجدًا أثريًا بمدينة [شابلينا] ومبالغة فى القسوة فُجِّرَ المسجد أثناء صلاة الفريضة والمسلمون مجتمعون فيه، مما أدى إلى قتلهم جميعًا!!

* ودمروا مسجد [البيك] فى سراييفو بالقصف المدفعى والصاروخى، وهو واحد من أقدم المساجد فى أوربا كلها.

* وأيضًا الكتب والمراجع العلمية هى تراث إنسانى ملك للجميع، إلا أن قساة الصرب لم تنج منهم مكتبة علاء باشا، فلقد دمروا كل ما فيها من تراث!!

* بلغ عدد المساجد التى دمرت أكثر من مائة مسجد، مما له تاريخ وله

منزلة فى الآثار وكتب العلم.

ومما يزيد فى بشاعة هذه الحرب ما يأتى:

- أنها بقيت حتى ضيعت شعب البوسنة والهرسك، وكان فى مقدور الدول القوية أن تمنعها كما منعوا اعتداء الصرب على الكروات، فلقد كان فى طوق الدول الأوربية والأمريكية وغيرهم أن يوقفوا هذه الحرب بجدارة إلا أنهم تركوا الفرصة للصرب حتى أضروا شعب البوسنة ضررًا بيِّنًا.. وفى ذلك إعلان بأن أى دولة قوية يمكن أن تقتل أى دولة ضعيفة، مما يورث البشرية شريعة الغاب، والفوضى العالمية!!.

- إنها حرب دينية، ومما يوضح ذلك جليًا:

* قول القائد الصربى «فوشتيك»: على المسلمين فى البوسنة والهرسك أن يتحولوا عن إسلامهم، وأن يصبحوا كرواتًا أو صربًا وإلا فالموت لهم».

* وهذا القائد أيضًا حينما سئل عن الهدف من هذه الحرب أجاب: إن هدفنا هو القضاء على المسلمين فى أوربا!!

* وكان الجنود الصرب حينما يهجمون على قرية كانوا يصيحون بأهل القرية قائلين: أين ربكم الآن يا مسلمون؟!!

* وحينما ذهب الرئيس الفرنسى «فرانسوا ميتران» إلى البوسنة، وقابل رئيسها السيد/ على عزت بيجوفيتش قال الحاكم الأوربى: إنى أشم منك رائحة الأصولية.. ومن هنا تركت أوربا للصرب فرصة القضاء على البوسنة، ما دام رئيسها على الإسلام حقًا.

* وحينما انعقد المؤتمر الإسلامى لمناصرة البوسنة قال رئيس وزراء بريطانيا: سنثبت لهم - أى للمسلمين المجتمعين فى منظمة المؤتمر

الإسلامى - أنهم لا يستطيعون فعل أى شىء!!

* إن القوة حينما كانت للمسلمين لم يقتلوا ولم يغتصبوا، وإنما رحموا وأكرموا، فهل هذا هو الجزاء، إن البوسنة حينما كانت تحت الحكم العثمانى الإسلامى أكرموا غير المسلمين غاية الإكرام، فطلبوا ممن فرّ من بلده عند الفتح أن يعود إلى بلده، وأقطعوهم مساحات أكثر مما كان لهم.

ونقل العثمانيون إلى البوسنة كثيرًا من الصناعات، ولم يجعلوها حكرًا على المسلمين بل كانت للمسلمين وغيرهم على حد سواء، حتى الصناعات الثقيلة والحربية!!

* وأنشأ العثمانيون شبكة طرق فى البوسنة كانت لخدمة الجميع!!

* وأنشأوا المدارس وكانت للجميع!!

وفى أثناء حرب البوسنة كتب إعلاميون من أرض المعركة أن مستشفيات البوسنيين المسلمين كانت تعالج جرحى الصرب بكل أمانة وصدق، فهذا أمر يفرضه عليهم دينهم.

وهكذا يتضح أن هذه الحرب إنما كانت لقطع اليد التى أكرمت ورحمت حينما سادت، وهذا مما يجعل الأمر فى غاية البشاعة.

وخلاصة القول: لو كان المسلمون إرهابيين لما بقى للصرب ولا للكروات وجود فى هذه البلاد، وإنما كرم المسلمين وسماحتهم هو الذى أبقى على النصارى فى هذه البلاد فإذ بهم يقتلون من أسلم، وعند قوته أكرم!!!

وهكذا فإن الإرهاب فى البوسنة والهرسك كان من المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك ومن اليهود، وكان واقعًا على المسلمين!!

٢ - الصهيونية والصليبية تدمر فلسطين

فلسطين دولة عربية إسلامية، وحينما احتل الإنجليز منطقة بلاد الشام، سارعوا وأعطوا وعدًا لليهود بإقامة دولة فى فلسطين!!!

والإنجليز فى هذا [إرهابيون] ففلسطين ليست ملكهم حتى يعطوها لليهود.

واليهود فى هذا [إرهابيون] ففلسطين بلد له أهله.

وراح اليهود والأوربيون والأمريكان يعملون على إقامة دولة لليهود فى فلسطين!!! يستجلبون ملايين اليهود أو المتهودين من آفاق الأرض وتوطينهم ودعمهم وتمكينهم فى فلسطين لزرع دولة إسرائيل فى قلب العالم العربى والإسلامى، مع استخدام كافة السبل العسكرية والسياسية والاقتصادية والإعلامية لإعاقة جميع جهود مقاومة هذا الوضع.

وفى سبيل إنشاء دولة لليهود على حساب دولة فلسطين ارتكبت الجرائم التى لا تخطر على بال بشر، ولا زالت ترتكب!! أذكر بعض ذلك.

* فلقد محا اليهود ٣٢٠ قرية ومدينة فلسطينية محوًا تامًا لإقامة مستوطنات يهودية.

ارتكب اليهود مذبحة بلدة «الشيخ» فى ١٩٤٧/١٢/٣١ قتل فيها ٦٠٠ شخص مدنى برىء داخل بيوتهم.

* ارتكب اليهود مذبحة دير ياسين فى ١٩٤٨/٤/١٠ والتى قُتِل فيها أكثر من نصف سكان القرية، وهى المذبحة التى تفاخر بالقيام بها مناحم

بيجن الحاصل على جائزة نوبل للسلام!!!.

* ارتكب اليهود مذبحة اللد فى ١١/٧/١٩٤٨ قتل فيها ٤٢٦ مدنيًا تجمعوا فى مسجد القرية، فاقتحمه اليهود، وقتلوا كل من فيه.

ارتكب اليهود مذبحة قبية التى قام بها الجيش الإسرائيلى النظامى فى ١٤/١٠/١٩٥٣ عندما طوق ٦٠٠ جندى القرية وقصفوها بالمدفعية ثم اقتحموها، وهم يطلقون النار بشكل عشوائى، مما دمر القرية، وأودى بحياة الكثيرين من أهلها.

* وارتكب اليهود مذبحة كفر قاسم فى أكتوبر ١٩٥٦ وفيها قتلوا ٤٩ مدنيًا من الأطفال والنساء!!.

* وارتكبوا مذبحة [قلقيلية] وراح ضحيتها ٨٨ قتيلاً.

* وارتكب اليهود مذبحة صبرا وشاتيلا فى ١٨/٩/١٩٨٢ والتى نفذها فى لبنان كبير الإرهابيين [شارون] بالتواطؤ مع قوات الكتائب المسيحية اللبنانية فقتلوا فى ثلاثة أيام: ٣٥٠٠ فلسطينى ولبنانى معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ، لم تكن لهم أى جريمة سوى هويتهم الإسلامية.

* وفى ديسمبر ١٩٨٧ تنفس الشعب الفلسطينى، وثار مطالبًا بحقوقه بما سمى بـ «الانتفاضة الأولى» فما كان من الجيش الإسرائيلى إلا الرد بكل وحشية، بأوامر من القادة السياسيين، وبموافقة من كل دول الصليب.

وتقول منظمات حقوق الإنسان، وهى منهم - اليهود والنصارى - إن إسرائيل فى هذه الانتفاضة والتى استمرت ستة أعوام قتلت: ١٥٠٠ فلسطينى. وجرحت: عشرات الآلاف.

* وفى سنة ١٩٨٨م شكلت إسرائيل جماعة المستعرفيم لاغتيال القيادات الفلسطينية برئاسة إيهود باراك.

* وفى سنة ١٩٩١م انعقد مؤتمر السلام بين الفلسطينيين واليهود فى مدريد برعاية أمريكا وتوصل المؤتمرون إلى أصول للسلام. إلا أن اليهود لم يوفوا بشىء من ذلك!!!.

واستمرت المذابح!!!.

* فمذبحة المسجد الإبراهيمى فى ٢٥/ ٤/ ١٩٩٤ التى نفذها أحد جنود الجيش الإسرائيلى بالتعاون مع عناصر أخرى من هذا الجيش ومن المستوطنين وقُتل فى هذه المذبحة: ٢٩ مصليًا داخل المسجد و٥٠ خارجه وأصيب أكثر من ٣٥٠ من المصلين.

* ومذبحة قانا فى ١٨/ ٤/ ١٩٩٦ وفيها قامت الطائرات والمدفعية الإسرائيلية بقصف ملجأ لقوات الأمم المتحدة فى قانا بلبنان بقنابل تنفجر فى الجو لزيادة الإصابات. فقتلت: ١٦٠ مدنيًا فلسطينيًا ولبنانيًا معظمهم من النساء والأطفال والشيوخ على الرغم من علمهم بأنهم من المدنيين، وهذه المذبحة كانت بأمر مباشر من شيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل وقتها، والذى حصل على جائزة نوبل للسلام!!

وعلى الرغم من ذلك ظل الفلسطينيون والعرب يجرون وراء السلام!!

يجرون وراء السلام!!!

يجرون وراء السلام!!!

وتتم اتفاقيات سلام بين حكومات إسلامية واليهود .

وتعقد مؤتمرات فى دول إسلامية.

وأثناء ذلك يزاول اليهود أنواعًا كثيرة من الحروب ضد المسلمين، أمثال

إشاعة المخدرات لضرب شباب الأمة، وإشاعة الأمراض، وتعقيم الشباب والشابات لمنع الإنجاب، واتفاقيات إضعاف الجيوش الإسلامية، والتحالفات العسكرية ضد الدول الإسلامية، ومحاربة الدول فى مصالحها كالمياه والاقتصاد ووصل الأمر إلى قتل الشخصيات المهمة فى الأمة!!!.

وكان القتل فى غاية البشاعة حتى إنه تصوب أقوى الأسلحة على طفل؟!!

وتضرب الطائرة سيارة صغيرة لقتل سائقها!!!.

وبلغ الأمر أن بعض اليهود يعشق أكل لحم الأطفال الفلسطينيين وبعضهم يعشق أكل أكباد الفلسطينيين!!.

* والمسلمون لا يزالون يتكلمون عن السلام.

* واليهود يتآمرون على قتل كل سبب من أسباب السلام.

* وفى الانتخابات ينتخبون الشخصيات الدموية (الإرهابية) وإذا وجدوا من هو أدخل فى سفك الدماء العربية أعطوه أصواتهم!!!.

* وحينما وجد اليهود أن المنطقة هدأت قام أحد إرهابييهم وهو إريل شارون فى ٢٨/٩/ ٢٠٠٠ بدخول المسجد الأقصى مع عدد من عساكر الجيش مما أغضب المسلمين كثيرًا، وكان سببًا لإشعال الانتفاضة الثانية، وفيها يحاول الفلسطينيون استرداد شىء من أرضهم، وأخذ شىء من حرياتهم، واعتبر اليهود ذلك مبررًا كافيًا لضرب الفلسطينيين فى كل ناحية:

فى الأرواح بلغ عدد القتلى ٢٥٠٠ (ألفين وخمسمائة) قتيل!!!

وبلغ عدد المصابين ٤٠,٠٠٠ (أربعين ألف) مصاب.

وفى الصناعة: دمرت إسرائيل فى السنة الأولى من الانتفاضة من

سبتمبر سنة ٢٠٠٠ إلى سبتمبر سنة ٢٠٠١ : ٤٥ مصنعًا.

وبلغ عدد العاطلين ٣٥,٠٠٠ (خمسة وثلاثون ألف) عاطل.

وانخفض الانتاج ٧٠٪ فى المتوسط

خسرت الصناعة ٩,٠٠٠,٠٠٠ (تسعة ملايين) دولار

خسر الاقتصاد الفلسطينى فى العام الأول للانتفاضة ٩٠٦ مليون دولار

وفى الزراعة: بلغ عدد الأشجار التى اقتلعتها إسرائيل فى العام الأول للانتفاضة ٤٠٠,٠٠٠ (أربعمائة ألف) شجرة مثمرة.. تقدر خسائرها بـ٣٤٥مليون دولار!!!

وأيضًا القطاع الحيوانى تقدر خسائره بـ٣٤٥مليون دولار!!!

وفى الصحة: دمرت إسرائيل ٣٠٠ منشأة صحية.. وقصفت ثلاثة مستشفيات بالطائرات وقذائف الدبابات. ودمرت ٩٣ سيارة إسعاف بالقصف وإطلاق النار عليها. أما آثار الحرب النفسية فهذه فوق الحصر، فكيف بنفسية ناس يقتل الفرد من الأسرة أمام أهله، أناس مهددون باستمرار، أناس تهدم بيوتهم.

أناس تحرث زراعاتهم.

وفى المساكن: دمرت إسرائيل ٦٠٠٠ منزل فلسطينى تدميرًا كاملاً!!! و٦٠٠٠ تدميرًا جزئيًا!!.

وبلغت الخسائر ١٩,٠٠٠,٠٠٠ دولار.

وخسائر المرافق بلغت ١٨,٠٠٠,٠٠٠ دولار.

وخسائر الطرق فى الضفة ٣,٥٠٠,٠٠٠ (ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف) دولار.

وخسائر الطرق فى غزة ١,٢٥٠,٠٠٠ (مليون ومائتين وخمسين ألف) دولار كما جرف مطار غزة وقصف مرات.

وفى السياحة: دمرت إسرائيل المدن السياحية الفلسطينية. وأغلقت مطار غزة وهو المطار الوحيد الفلسطينى. واحتلت أسطح المبانى والفنادق.

وبلغت خسائر السياحة خلال العام الأول من الانتفاضة ٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (خمسمائة مليون دولار).

إن الانتفاضة الحالية جزء من حق الفلسطينيين، فكل شعب من حقه أن يعيش حرا على أرضه، إلا أن إسرائيل تقابلها بأفعال فى غاية الإجرام (الإرهاب)!!!.

* فمذبحة نابلس.
* ومذبحة جنين.
* ومذبحة غزة.
* ومذبحة غزة الثانية.
* كلها تحدث أمام سمع وبصر العالم، يقتل فيها الشعب الفلسطينى الأعزل بأقوى الأسلحة. ويقال عليه: إنه إرهابى.

وشارون رجل سلام!!!.

* وفى مذبحة جنين هذه الأعاجيب، فحينما دخل الجيش الإسرائيلى المسلح بأقوى الأسلحة الأمريكية والأوربية، حينما دخل مخيم جنين، قتل الكثيرين وأصاب الكثيرين - يقدر عدد القتلى بـ٥٠٠ والجرحى قرابة الألف - وقررت الأمم المتحدة إيفاد لجنة تحقيق رسمية، ورفضت إسرائيل تكتمًا على جريمتها، وكانت المفاجأة أن أمين الأمم المتحدة - رضخ

لطلب إسرائيل وألغى القرار!!!.

* ومذبحة غزة التى وقعت فى ٢٢/٧/٢٠٠٢م وراح فيها ١٧٠ قتيلاً وجريحًا أكثرهم من الأطفال. وبعدها مباشرة ألقت الطائرات [إف ١٦] قنبلة وزنها ألف كيلو!! على منزل لأحد القيادات الفلسطينية وهو صلاح شحادة.

ولقد هدمت القنبلة بيته ومنازل أخرى مجاورة، وقتلت وأصابت العديدين، أصغرهم طفل فى الشهر الثانى من عمره!!!

وقبل مقتل صلاح شحادة كانت منظمة حماس قد وافقت على اتفاقية هدنة بينها وبين السلطة الفلسطينية، تنص على وقف العمليات لمصلحة الانسحاب العسكرى من مناطق السلطة، وإنهاء الحصار، والامتناع عن الاغتيالات والاعتقالات. فجاء اغتيال إسرائيل صلاح شحادة ـ القائد العام لكتائب عز الدين القسام ـ ليقضى على هذه الاتفاقية. وهذا شأن إسرائيل كلما بدا فى الأفق نور سلام أطفأته بأعمال الإجرام!!!

ولازالت مذابح غزة تتكرر!!!.

* وفى حرب إسرائيل الحالية نسمع ونرى فى هذه الأيام الأعاجيب، ما بين قتل بكل وحشية، وما بين إذلال، وتجويع، وتشريد، وتدمير البنية الأساسية، وبذل كل السبل فى القضاء على الفلسطينيين حتى وصل الأمر لهدم المستشفيات، وتعطيل إنقاذ المرضى والحوامل، وضرب سيارات الإسعاف!!! وضرب الأطفال من الخلف بالنار!!!

ويحاول العالم شيئًا من التعاون مع الفلسطينيين البؤساء، يحاول البعض قدرًا من الرحمة، ولكن إسرائيل ترفض!!!.

ومن هنا يتساءل كل ذى عقل: مَنِ الإرهابى؟

اليهود أم الفلسطينيون.

اليهود: الذين احتلوا أرض العرب، وحاربوهم وقتلوهم وشردوهم!!

أم الفلسطينيون: الذين احتلت أرضهم، وقُتِّلُوا، وشردوا، وأوذوا!!!.

إن كل عاقل سيقول: الإرهابى هو اليهودى.

لكن بلغ الإرهاب فى هذه القضية: أن العاقل لا يستطيع أن يقول ذلك!!

فوسائل الإعلام القوية.

والسياسيون المتعجرفون.

والعسكريون الغلاظ كل ذلك فرض على الفكر غير ما يرى ويسمع!! وهذا أبشع الإرهاب.

إن إسرائيل تختار حكومتها كما تشاء، لكنها تريد أن لا يختار الفلسطينيون حكومتهم وإنما تختار إسرائيل للفلسطينيين حكومتهم!!!

إن إسرائيل تصنع أحدث الأسلحة، وتستورد أقوى الأسلحة، لكنها لا تسمح لأى فلسطينى باقتناء أى سلاح!!!.

فمن الإرهابى؟

• ومما زاد فى بشاعة أحداث فلسطين ما يلى:

١ ـ بشاعة الإجرام الإسرائيلى:

من قتل المدنيين كثيرًا، وبأبشع السبل، وقتل الأطفال حتى أن ٣٠٪ من قتلى الانتفاضة من الأطفال، وأحيانا توضع الألغام بالقرب من المدارس فتمزق الأطفال!!!

وتسميم الزراعات والمياه للقضاء على الجنس العربى!!!

ومن الإجرام الإسرائيلى: هدم المنازل، والقضاء على الزراعات.

وتقضى إسرائيل بكل إجرام على المرافق الإنسانية كالمستشفيات، وسيارات الإسعاف وخزانات المياه!!.

ومن الإجرام الإسرائيلى: طرد الفلسطينيين أصحاب الأرض، واستقدام اليهود والمتهودين من دول أخرى، وهم ليسوا أصحاب أرض!!!.

٢ ـ إضاعة القانون:

فإسرائيل ترتكب كل هذه الجرائم وغيرها، غير مكترثة بالقانون، ولا بالعرب ولا بالمسلمين. وتساعدها الدول الأخرى، من أوربية وأمريكية وغيرها، رائين أن العرب ليسوا بأناس، وها نحن فى هذه الأيام وإسرائيل تضرب بأقوى الأسلحة تساعدها أمريكا بأحدث الأسلحة، وتضاعف إنجلترا من تصدير السلاح إليها.

إن الدول من كل ناحية تقف مع الدولة العبرية على الرغم من معرفتهم بإضاعتها القانون، فأمريكا أنفقت على إسرائيل ١٦٠٠ مليار دولار فى ٣٠ عامًا وساهمت أمريكا فى بناء المستوطنات ـ على الرغم من أنها مخالفة للقانون الدولى ـ بـ١٣ مليار دولار خلال ثلاث سنوات من ١٩٩١ ـ ١٩٩٤م واستعملت أمريكا حق النقض (الفيتو) ٧٢ مرة لتعطيل قرارات تدين إسرائيل. ولم تقبل مرة واحدة أن تحترم الشرعية الدولية!!

إن إسرائيل قد كسرت القوانين الدولية: من حق جميع الشعوب فى تقرير مصيرها. وعدم جواز تجريد أحد من ممتلكاته، وحرية الإنسان فى التنقل، وتحريم العقوبات الجماعية. وتحريم تقييد مرور الأدوية والمستلزمات الطبية، والأغذية الضرورية.

إن القانون الدولى يُجَرِّم الاعتقالات والاغتيالات، وإنما لابد من المحاكمة، ولقد صنعت إسرائيل ذلك تساعدها كل الدول!!

إن القانون الدولى يضمن للإنسان كسب قوته، وتنمية إنسانيته بالتعليم والدراسة، واحترام حقوقه وحرياته الأساسية. وإسرائيل قد ضيعت ذلك.

ومن النوادر: أن العراق تجتمع قوى العالم لضربه بتهمة امتلاكه أسلحة الدمار الشامل، وكم فتشه المفتشون، واطلع على أسراره العسكرية الخبراء الأجانب، مما لا تقبله أى دولة. يضرب العراق بهذه التهمة، بينما إسرائيل تمتلك السلاح النووى، وتمتلك الكثير من أسلحة الدمار الشامل ولا يعاب ذلك عليها، بل يدفع إليها المزيد من أحدث الأسلحة!!!.

إن منطقة الشرق الأوسط ينادى الكثيرون بخلوها من الأسلحة النووية وتفتش كل الدول إلا إسرائيل!!! فأى قانون يحكم المسائل!!!.

وفى منتصف عام ٢٠٠٢ قامت دبابة إسرائيلية بدخول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود المصرية الإسرائيلية، وقام طاقم الدبابة بإطلاق النار على الجنود المصريين، ولم يرد الجنود المصريون على النار بالمثل.

والإرهاب هنا متعدد:

فدخول دبابة إلى منطقة منزوعة السلاح هذا إرهاب!!

وإطلاق النار تجاه الجنود المصريين هذا إرهاب آخر!!

ورفض المسئولين الإسرائيليين التعليق على الخبر هذا إرهاب ثالث!!.

وكون هذا الخرق لاتفاقية السلام ليس الأول من نوعه فهذا هو الخرق العشرون لاتفاقية السلام وهذا إرهاب رابع!!!

ولم يحدث أن مصر خرقت اتفاقية السلام مرة واحدة.. وجنودها مبتعدون عن كل ما يثير التوتر فى المنطقة، فمن الإرهابى؟

٣ ـ أنها بأموال العرب والمسلمين:

ومما يزيد فى بشاعة أحداث فلسطين أنها بأموال أغنياء العالم الإسلامى!!

فمنذ عشرين عامًا (١٩٨٠م) كانت أرصدة أثرياء العرب ٤٠٠ مليار دولار تقريبًا. منها ٢٥٠ مليارًا فى أمريكا و٨٠ مليارًا فى أوربا و٧٠ مليارًا فى بقية دول العالم، واستثمارات هذه الأموال لصالح اليهود، والعرب لا يأخذون عائدًا على مدخراتهم، فيرصد العائد لصالح دولة اليهود.

إن كثيرًا من الشركات العالمية التى تصب فى كأس دولة اليهود تستفيد بأموال العرب!!!.

وكم سمعنا عن شركات أوشكت على الإفلاس، فتأتى دولة عربية، وتشترى الكثير من صناعة هذه الشركات، فيتغير حال الشركة!! وكثيرًا ما تكون هذه الشركات لصنع الأسلحة من طيران ودبابات وما أشبه ذلك.

إن مال العرب يستخدم لصالح الاقتصاد غير العربى، ويأتى بالمردود لصالح دولة اليهود لتستخدمه فى قتل الإنسانية، وارتكاب أبشع الجرائم!!

٤ ـ البعد الدينى لهذا الإجرام:

ومما يزيد فى بشاعة إجرام اليهود ضد الفلسطينيين أن هذا الإجرام له جذور دينية اعتقادية، تدعو إلى قتل كل من ليس يهوديًا «الأغيار» وطردهم والاستيلاء على أموالهم، ثم ترجمت إلى تعاليم وتعليمات مباشرة موجهة لأفراد المجتمع الإسرائيلى وجيشه. يقول إسرائيل شاحاك فى كتابه «الديانة اليهودية وتاريخ اليهود وطأة ٣٠٠٠ عام» فقد استنتج عدد من الحاخامات بأن جميع (الأغيار) فى زمن الحرب الذين ينتمون

إلى السكان المعادين، أغيار يمكن قتلهم، بل يجب قتلهم!!.

ومنذ عام ١٩٧٣ وهذا المبدأ يُبَثُّ علنًا من أجل إرشاد الجنود المتدينين، وكان أول حض رسمى من هذا النوع مضمنًا فى كتيب نشرته قيادة المنطقة الوسطى فى الجيش الإسرائيلى - وهى المنطقة التى تشمل الضفة الغربية - وقد كتب الكاهن الرئيسى لهذه القيادة فى هذا الكتيب: عندما تصادف قواتنا مدنيين خلال الحرب، أو أثناء عملية مطاردة، أو فى غارة من الغارات، وما دام هناك عدم يقين حول ما إذا كان هؤلاء المدنيون غير قادرين على إيذاء قواتنا، فيمكن قتلهم بحسب الهالاخاة (الشريعة اليهودية) بل ينبغى قتلهم. إذ ينبغى عدم الثقة بالعربى فى أى ظرف من الظروف، حتى وإن أعطى انطباعًا بأنه متمدن، ففى الحرب يسمح لقواتنا وهى تهاجم العدو - بل إنها مأمورة - بقتل حتى المدنيين الطيبين، أى المدنيين الذين يبدون طيبين فى الظاهر».

إن الإجرام الإسرائيلى جذوره دينية، ومن هنا يندفع الجيش فى الإجرام معتقدًا أنه يقوم بواجب دينى!!! ولا علم عندهم بأن دين الله لا يمكن أن يأمر بالقتل والتشريد والاستيلاء على أموال الغير بغير حق.

وجاء فى العهد القديم: حين تقرب من مدينة لتحاربها ادعها إلى الصلح، فإن أجابتك وفتحت لك، فكل من فيها مسخر لك ومستعبد!!! وإن لم تسالمك وحاربتك فحاصرها، فإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة فهو غنيمة لك!!! وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًا التى ليست من مدن هذه الأمم التى هنا، وأما مدن هذه الشعوب التى يعطيك الرب إياها فلا تستبق منها نسمة ما، بل أهلكها إهلاكًا[1].

---

(١) سفر التثنية ٢٠/ ١٠ - ١٤.

هذه نصوصهم المقدسة، تدعو لاستعباد من طلب الصلح!!!

وقتل من لم يطلب الصلح وإن استسلم!!!

هذه نصوصهم المقدسة، تدعو لإهلاك الآخرين إهلاكًا!!!.

وينسبون لأنبيائهم ما يبررون به أى إجرام يرتكبونه!!!.

* ففى سفر العدد: وأرسل موسى اثنى عشر ألف رجل لمحاربة أهل مدين، فحاربوهم وانتصروا عليهم، وقتلوا كل ذكر منهم وخمسة ملوك، وسبوا نساءهم وأولادهم. ولما رجعوا غضب عليهم موسى كما زعموا، لأنهم استبقوا النساء والأطفال، ثم أمر بقتل كل طفل ذكر وكل امرأة ثيب، وأبقى الأبكار، وكان عددهن اثنتين وثلاثين ألفًا[1].

* وفى صمويل الأول: وكان داود يقاتل أعداءه، ولا يبقى ذكرًا ولا أنثى ولا طفلاً[2].

وفى صمويل الثانى: وكان أحيانًا يمثل بمن يقتلهم أشنع تمثيل، وأخرج الشعب الذى فيها - قرية من فلسطين - ووضعهم تحت المناشير ونوارج حديد، وفئوس حديد، وأحرقهم فى أتون الآجر. وهكذا صنع بجميع مدن بنى عمرون[3].

إن المتتبع لكتابات اليهود يتضح له أنهم يعتقدون أن ما يقومون به من قتل وتدمير وتشريد إنما هو من إكرام الله لهم!!!

ويعتقدون أن ما يقومون به من قتل وتدمير وتشريد إنما هو انتصار للحرية!!.

(١) سفر العدد: ٣١.
(٢) صمويل الأول ٢٧/ ٩.
(٣) صمويل الثانى ١٢/ ٣١.

وأن ما يقومون به إنما هو انتصار للحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية!!!.

وهكذا فإن جرائم اليهود ستزداد وستستمر، تساندها الدول الأخرى، فإن الخلفية الدينية، والحقد الدفين، وحب التعالى والسلطة، والحرص على أخذ الدنيا كل ذلك يجعل جرائمهم فى اطراد.

والعاقل يدرك أن الإرهاب خرج من اليهود وممن يناصرهم، وهو واقع على العرب، وهم لخيريتهم لا يحبون إشعال الحروب!!!.

* * *

● اليهود والدول المجاورة لفلسطين:

وكما عم شر اليهود أهل فلسطين فإنه عم المنطقة العربية!!!

فاشترك اليهود فى العدوان الثلاثى على مصر مع إنجلترا وفرنسا، وكان الإجرام الكثير على الشعب المصرى، وبخاصة على الجيش المصرى.

حرب ١٩٦٧:

وفى حرب ١٩٦٧ أغار اليهود على مصر وسوريا، وبدءوا بقوات جوية مصدرة من أمريكا وأوربا فضربوا المطارات ودمروا مئات من الطائرات على سطح الأرض!!! من مصر وسوريا والأردن.

ثم بدأت القوات الإسرائيلية فى التقدم فى البلاد العربية، يحميها سلاح جوى قوى فاحتلت من البلاد العربية أرضًا تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة إسرائيل قبل سنة ١٩٦٧ !!!.

وكانت الخسائر المادية ٤٠٠ طائرة عربية.

٥٠٠ دبابة مصرية دمرت أو غنمت

٧٠٪ من العتاد الثقيل قيمته أكثر من مليار دولار دُمِّر.

أما الجرائم البشرية فكانت: قتل الأسرى بلا هوادة.

قتل المدنيين بلا هوادة.

فكانوا يوقفون الأسرى والمدنيين ويطلقون عليهم النار، فيقتلونهم بأى أعداد!!!.

ففى منطقة (أبو صقل) قتلوا ٣٠٠٠ أسير فى منتصف أغسطس ١٩٦٧م وظلت هذه الجثث فوق الأرض أكثر من عشرة أيام حتى تمكن بعدها أهالى المنطقة من دفنها. وأخفت إسرائيل هذه الوقائع والجرائم وضللت الصحافة العالمية!!!.

وأمروا أعدادًا من الأسرى بحفر قبورهم بأيديهم، ثم أمروهم بالانبطاح على الأرض ثم سارت الدبابات فوقهم، تكرر هذا مرات!!!

وفى موضع آخر أمروا أعدادًا من الأسرى بالجلوس ورفع الأيدى إلى أعلى، ثم أطلقت مجندة إسرائيلية النار عليهم من الخلف حتى قضت عليهم جميعًا!!!.

وكانوا يجمعون الأسرى من المدنيين والعسكريين، ثم يأمرونهم برفع الأيدى والنظر إلى الشمس بحجة تصويرهم، ثم يطلقون عليهم النيران من الخلف!!!

وفى موضع واحد وهو تل الشيخ زويد قتلوا ألفى أسير ثم أخذوا يُجَمِّعون الأسرى وتأتى الطائرت الهيلوكبتر الإسرائيلية فتحصدهم بالنيران من فوق ثم تنطلق!!!.

وفى الشيخ زويد جمعوا جنود سلاح الحدود المصريين العزل، وخلف فندق السلام قتلوهم!!

وفى العريش جمعوا الجنود المصريين العزل عند مصنع البلح بالوادى وسط أشجار الزيتون وكانوا قرابة الألف فقتلوهم جميعًا!!.

يقول د/ إسرائيل شاحاك إن آلاف الجنود المصريين الذين وجدوا أنفسهم خلف خطوط الحركة العسكرية الإسرائيلية فى حرب ١٩٦٧ تقدموا بكل حسن نية إلى الجنود الإسرائيليين متوقعين أن يعاملوا كأسرى فكان هؤلاء يكتفون بأن يشيروا لهم إلى الطريق المؤدية نحو قناة السويس أو مدينة العريش كأنهم يقومون بعمل إنسانى بينما هم فى الواقع يتركونهم نهبًا للحر والعطش والجوع. والجنود المصريون الذين أسروا تمت إبادتهم بالقتل المباشر على يد اليهود غير المتدينين، وبالقتل غير المباشر على يد اليهود المتدينين الذين تحايلوا على نصوص الشريعة اليهودية بعدم جواز قتل غير اليهودى إن لم يكن محاربًا.

ويقول صحفى إسرائيلى: إن عسكريًا إسرائيليًا أخبره أنه أطلق سراح أسيرين مصريين ثم أخرج مسدسه وقتلهما من الخلف.

ويقول هذا الصحفى: إن ضغوطًا مورست عليه كى لا يكتب هذه الواقعة وغيرها، وهو كتبها ليس بغرض الإثارة ليتم تشكيل لجنة تحقيق، وإنما لكى يكف الزعماء والقادة عن ادعاء الورع والحديث عن طهارة السلاح.

وتحدث شهود عيان عن قتل الأطفال والنساء وكبار السن من المدنيين:

من ذلك أنهم جمعوا المدنيين من المنازل إلى مطار العريش، وأطلقوا عليهم النيران داخل المخابئ.

وأيضًا أطلقوا النار على إمام مسجد الحدود الشيخ سليم إبراهيم فأردوه قتيلاً!!!

يقول مصطفى حسن محيصن أبو منيع: إنه لا يخلو متر واحد فى سيناء من دم مصرى أسير وكثيرًا ما قتلوا من المدنيين!!!.

وبلغ عدد من قتل من المصريين ١٥٠٠٠ قتيل!! و٥٦٠٠ أسير.

ومن الأردن ٦٠٠٠ قتيل.

ومن سوريا ١٠٠٠ قتيل.

ومن إسرائيل ٧٠٠٠ قتيل، و٢٥٠٠ جريح.

وعليه فهذه الحرب التى أشعلتها إسرائيل وأعوانها من أجل حب التوسع وفرض النفوذ، هذه الحرب قتل بسببها من العرب ٢٢٠٠٠ قتيل، و٥٦٠٠ أسير.

ومن إسرائيل: ٧٠٠٠ قتيل، و٢٥٠٠ جريح.

فمجموع من قُتل ٢٩٠٠٠ آدمى، و٥٦٠٠ أسير، و٢٥٠٠ جريح.

ولما قامت الحرب الثانية سنة ١٩٧٣م وانتصر العرب لم يقتلوا من اليهود أسيرًا، ولم يقتلوا مدنيًا، وكان أهل سيناء من المسلمين يحترمون إنسانية الجنود اليهود الهائمين على وجوههم فى سيناء.

يقول الحاج/ حسن حسين المالح: فى عام ١٩٧٣ كنا نقدم العون والغذاء والعلاج للإسرائيليين العائدين بعد فشلهم فى حرب أكتوبر وعاملناهم معاملة إنسانية.

حرب ١٩٧٣:

وبعد الحرب الثانية سنة ١٩٧٣م والتى انتصر فيها العرب، بدأت اتفاقيات سلام، لكنه سلام من جانب العرب، وحرب من جانب إسرائيل وأعوانها!! فالعرب فتحوا بلادهم لليهود، وصاروا يوقعون اتفاقيات صلح، بينما إسرائيل تقتل الفلسطينيين واللبنانيين!! وتتآمر على

الجيوش العربية، والشعوب العربية، وتضر بكثير من مصادر الاقتصاد، وتضرب المفاعل الذرى فى العراق، وتضرب قرى فى تونس، وتهدد كل الدول العربية. . وتستثير أمريكا وأوربا على كثير من الدول العربية، كالسودان وليبيا والعراق. . وغير ذلك. وتعمل بالإفساد بين الحكومات والشعوب وبخاصة بين الحكومات والشباب المسلم. وتثير المشاكل الاجتماعية، وتشيع المدمرات من كيماويات ومخدرات.

وها نحن الآن (سنة ٢٠٠٢) والانتفاضة الفلسطينية قائمة، تعمل القوى الصهيونية على إشاعة أن العرب إرهابيون!!!

وأن المسلمين إرهابيون!!!

إن اليهود احتلوا أرض العرب. وقتلوا الآلاف من العرب، ودمروا الكثير من أسباب حياة العرب، لا يراعون أخلاقًا ولا إنسانية، دينهم يحثهم على قتل غيرهم، فيقتلون بلا هوادة، يقتلون الطفل والمرأة، ويسممون الزراعات ويدمرون كل نافع للعرب، ومع ذلك يقولون عن المسلمين إنهم إرهابيون!!!.

ويصفون انفسهم بأنهم أهل ديمقراطية!!.

ويصف رئيس أمريكا (بوش الابن) رئيس وزراء إسرائيل (شارون) بأنه رجل سلام!!!.

حتى إن المطلع على الأمور يتضح له أن قولهم على المسلمين إنهم إرهابيون إنما هذا القول وحده إرهاب خطير!!!.

وتطالعنا الصحف صباح مساء بأعمال إجرامية يقترفها اليهود فى حق الفلسطينيين وفى حق المسلمين عمومًا، فلقد شاركوا فى حرب البوسنة، وهم الآن يشاركون الهند فى قتل المسلمين فى كشمير!! ويجرون أمريكا

لضرب العراق وضرب عدد من الدول الإسلامية!!!.

وتنشر الصحف أن تقرير «الفاو» ـ منظمة الزراعة العالمية ـ ويفيد أن مصر تنفق سنويًا ٦ مليار جنيه على أمراض التلوث ـ الكيماويات والهرمونات الزراعية ـ ويموت من أبنائها ١٦٠ ألفًا كل عام بسبب الأمراض الناشئة عن ذلك.

وحدث بسبب ذلك أيضًا ٤٠ ألف حالة فشل كلوى، تكلفة الغسيل ٤٠٠٠ جنيه للفرد، ومجموع ذلك ١٦٠ مليون جنيه.

وحدث بسبب ذلك أيضًا ١٩ ألف حالة سرطان!! وإن إسرائيل والعمولات هما السبب فى هذه الملوّثات!!!.

وإجرام اليهود على لبنان وسوريا كثير وكثير، فهم يحتلون الجولان من سوريا، وكانوا يحتلون الجنوب اللبنانى، ولا يزالون يحتلون مزارع شبعا، والاعتداءات متكررة، والمؤامرات متتالية، واتفاقات مع تركيا ضد سوريا ولبنان، ما بين عسكرية، وما بين اقتصادية وبخاصة على المياه!!! وبتحكمهم فى وسائل الإعلام يوهمون العالم أن سوريا إرهابية!!! سوريا التى أرضها يحتلها اليهود، سوريا التى تمنع عنها مياه الأنهار، يصورها اليهود على أنها دولة إرهابية!!!.

وفى هذا العام (٢٧/ ٥/ ٢٠٠٢) أطلقت إسرائيل قمرًا صناعيًا (أوفيك ٥) للتجسس على الدول العربية والإسلامية!!! وفى (١٨/٦/٢٠٠٢) نشرت الصحف أن هذا القمر قام بتصوير حى إيرانى ولد به رئيس أركان الجيش الإسرائيلى (موفاز).

وأسوق بعض تعبيرات لأستاذ إسرائيلى يهودى اسمه «إسرائيل شاهاك» يقول: إن إسرائيل إنما أقيمت للدمار، وإن إسرائيل إنما تعد نفسها للتدمير

فى المنطقة لمن حولها، أو بالأصح إن إسرائيل قد أقامت نفسها من أجل التدمير[١].

ويقول: إن الإسرائيليين قد طوروا التعذيب، وتفننوا فى الاستعباد ويتنبأ بأن اليهود أنفسهم سيكونون ضحايا لجرائمهم ضد الإنسانية. إن الشر يتولد عنه الشر، والاستعباد يؤدى إلى مزيد من الاستعباد. والملاحظة المثيرة للدهشة هى أن معظم الإسرائيليين حوالى ٨٠٪ منهم لو شئنا الدقة يؤمنون بأن العنف والاضطهاد داخل إسرائيل سيفضى لا محالة إلى حرب أهلية لا يمكن تجنبها.

ويقول شاهاك: أنا أفضل قيام حرب أهلية لدحر الاستعباد فى إسرائيل[٢].

ويقول «بول فندلى» عضو الكونجرس الأمريكى السابق: إننى كأمريكى أجد رأسى مدفونًا فى العار لأن هذه الفظائع الإسرائيلية ما كانت لتحدث دون مساعدة حكومة الولايات المتحدة الأمريكية.

ويقول: ومن خلال هذه الحقائق يبرز لنا سؤال هو: هل أقيمت إسرائيل وكرست نفسها من أجل التدمير؟ إننى أقول للإسرائيليين إننى أذكركم بما ورد بالكتاب المقدس إذ يسأل: «هل يمكن أن أبارك لكم وأنتم ترتكبون كل هذه الخطايا؟ لكل هذه الخطايا سأدمركم»[٣].

وهكذا اغتصب اليهود أرض فلسطين، ويقتلون أهلها شر قتْلة، ويتطاير شررهم إلى الدول العربية والإسلامية، تساندهم بل تتبنَاهم أمريكا، وكثير من دول العالم، فمن الإرهابى؟

إن إرهاب قساة اليهود وخوارج النصارى إنما هو إرهاب مركب!!!.

(١) العرب وإسرائيل لأحمد ديدات ص٢١.

(٢) السابق ص٢٨.

(٣) السابق ص ٢٩، ٣٠.

٣ - روسيا وتدمير أفغانستان؟؟؟

منطقة أفغانستان عرفت بهذا الاسم منذ أواسط القرن الثامن عشر الميلادى، ومعنى أفغانستان: أرض الأفغان. . وكانت قبل ذلك كل منطقة تعرف باسمها: قندهار، وهراق، ومزار شريف. . إلخ.

وهذه المنطقة «أفغانستان» أسلمت قديمًا، أسلم أهلها فى عهد عمر بن الخطاب فى أول التاريخ الهجرى، سنة عشرين تقريبًا.

وأحب الأفغان الدين الإسلامى كثيرًا، وتمسكوا به لما فيه من عظمة وسُمُوّ. وكانت أفغانستان يحكمها حكام الهند أحيانًا، وحكام إيران أحيانًا، وحكام مملكة بخارى - هى الآن جمهوريات تركستان وأوزبكستان وطاجكستان - أحيانًا.

وحينما احتلت إنجلترا الهند أرادت أن تحتل أفغانستان، وأقامت لذلك ثلاثة حروب:

الأولى سنة ١٨٣٨ إلى سنة ١٨٤٨ وفيها فقد الإنجليز جيشهم بأكمله.

والحرب الثانية من سنة ١٨٧٨ إلى سنة ١٨٨١ وفيها أنزل الأفغان بالقوات البريطانية والهندية هزائم متتالية ومروعة.

والحرب الثالثة من ١٩١٩ - ١٩٢١ وفيها حقق الأفغان ألوانًا من النصر على الإنجليز، واعترفت إنجلترا على أثر هذه الحرب باستقلال بلاد الأفغان فى اتفاقية روالبندى.

* وحينما قامت الثورة الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ بدأت تتظاهر بعلاقة حسن الجوار مع أفغانستان وبخارى، ولكن سرعان، ما نقضوا

هذا الاتفاق، واحتلوا بخارى سنة ١٩٢٣!!! ثم بدأت مؤامراتهم على أفغانستان، ما بين مؤامرات على الاقتصاد، ومؤامرات على السياسة والحكم.

ثم إن روسيا وجهت جيشًا جرارًا لاحتلال أفغانستان فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٧٩ وثارت شعوب العالم ضد الاتحاد السوفياتى وتدخله فى أفغانستان، ولم تبال موسكو بقرارات مجلس الأمن أو الجمعية العمومية، واستمرت عشر سنوات فى حرب أفغانستان!!!

فيها بذل الاتحاد السوفياتى - إحدى الدولتين العظميين فى هذا الوقت - كل قوته فى ضرب أفغانستان - الدولة الضعيفة الفقيرة - فدمر وقتل وشرد!! ومجموعات من أهل أفغانستان تقاوم هذا الطغيان بأسلحة بدائية ولكن مع عزيمة قوية، أوجدها الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

* * *

٤ ـ أمريكا وتدمير أفغانستان!!

وبينما روسيا تضرب أفغانستان كان الغرب يُمكّن مخالبه أيضًا فى أفغانستان!!! فالمنطقة التى فيها أفغانستان تعد مصدرًا مهمًا للنفط، والغاز، والأحجار الكريمة، والخشخاش (نبات مخدر).

وشركات الطاقة العالمية تحرص على إنشاء مجموعة خطوط أنابيب، لنقل النفط والغاز من بحر قزوين إلى المياه الدولية فى البحر الأبيض والمحيط الهندى.

وترى هذه الشركات أن أنجح الخطوط الخط الذى يصل بحر قزوين بالمحيط الهندى، وهذا يمر بباكستان وأفغانستان، وأثناء حكم طالبان أفغانستان رفضت تسيير الخط فى أراضيها، وأرسلت أمريكا وفودا للتفاوض، ولقد صرح أحد هذه الوفود ـ فى تموز ـ يوليو ـ سنة ٢٠٠١ ـ قائلاً: إن السلاح وحده سيحل النزاع[١].

وأمريكا دولة ترى النفط حياتها، ووجهاؤها وزعماؤهما وشركاتها يستثمرون كثيرًا من أموالهم فى البترول، ومن هنا كان لابد ـ فى رأيهم ـ من غزو أفغانستان.

وكان حادث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١ ذريعة لحرب أمريكا أفغانستان!!

● شراسة الحرب:

ولم يعرف للآن من قام بضرب مركز التجارة العالمى!!! نحن الآن فى ديسمبر سنة ٢٠٠٢ أى أنه مضى على هذا الحادث أكثر من عام. وبعده

(١) الخديعة المرعبة ص١٠٧.

مباشرة راحت الاتهامات توجه إلى المسلمين!!! كل المسلمين!! وبعد أيام من الحادث، وبالتحديد فى ٧/ ١٠/ ٢٠٠١ كانت أمريكا تضرب أفغانستان بأقوى الأسلحة.

لقد قام الطيران الأمريكى والبريطانى بـ ٤٧٠٠ طلعة.

أسقط خلالها ١٢٠٠٠ قنبلة كثير منها يحتوى على اليورانيوم المنضب، مما تسبب فى تلوث هائل فى أفغانستان، تتراوح نسبته بين ٢٠٠ و ٤٧٣.

قتل أكثر من ١٠,٠٠٠ مقاتل.

وشرد ٦,٠٠٠,٠٠٠ مدنى خارج أفغانستان، يتعرضون للجوع والموت.

وشرد ١,٠٠٠,٠٠٠ مدنى داخل أفغانستان.

ودمرت المؤسسات الرئيسة للدولة، من الوزارات، والبنوك، والمستشفيات، والطرق، ومرافق المياه... إلخ.

وبلغت نسبة وفيات الأطفال ٤٩٪.

وفى أفغانستان قرابة ١٠,٠٠٠,٠٠٠ (عشرة ملايين لغم) وهذه الألغام توقع ٥٠٠ ضحية شهريًا.

وأما الأسرى فإنهم بالآلاف، ويقتلون بكل استهتار، وحينما قتل ٦٠٠ أسير فى قلعة جانجى، قال وزير خارجية بريطانيا، ووزير دفاع أمريكا: إنه لا حاجة للتحقيق!!!

وحُمل العديد من الأسرى (٥٩٨ معتقل) إلى قاعدة جوانتانامو البحرية الأمريكية فى كوبا، وصرح قائد القاعدة بوب يوهن، بأن بعضهم قد يظل سجينا ٢٠ عامًا، وهؤلاء الأسرى ترفض أمريكا إعطاءهم وضع أسرى حرب، ولم توجه إليهم أى اتهام، ولم يتم توكيل

محامين للدفاع عنهم!!!.

وقد حمل عدد آخر من هؤلاء الأسرى فى شاحنات (١٠٠٠ أسير) ولعدم تهوية هذه الشاحنات قتل هؤلاء الأسرى[1]!!!.

وهناك الكثير من الأسرى عند دوستم (٤٠٠٠) ولا أحد يعلم كيف يعاملون!!

إن هذه الحرب التى أعلنتها أمريكا ومن معها، هى حرب سماها الرئيس الأمريكى «حرب صليبية» إنها لإبادة المسلمين، وللاستيلاء على بلادهم، شأن الحروب الصليبية السابقة.

ومما زاد فى شراسة هذه الحرب:

- أنها بلا سبب، فلم يثبت فعلها على أحد، والكلام على افتعالها كثير.

- أن المتهمين بها لا يستطيعون فعلها، فلقد وُجِّه الاتهام فيها إلى تنظيم القاعدة وإلى حركة طالبان، وهما لا يستطيعان فعل شىء من ذلك، ولو كان لديهم مقدرة على ذلك أو شبهه لدافعوا عن بلادهم والطيران الأمريكى يضربها بأقوى الأسلحة، ومنها قنابل زنة القنبلة ثلاثة آلاف كيلو!!!

- أن الاتهام فيها عام لكل المسلمين، فلقد أوذى المسلمون فى كل مكان، ووجهت التهم للجميع، حتى إن سيدة أمريكية رفع عليها أبوها دعوى إلى المحكمة بأنها اعتنقت سلوكًا شاذًا يتضمن ارتداء زى مسلم، وأرفق الأب صورة لابنته ترتدى غطاء الرأس الإسلامى، ولقد قضت المحكمة بمنح حق حضانة ابن هذه السيدة الأمريكية لأبويها، وفى حيثيات

---

(١) نقلا عن مجلة «نيوزويك» الأمريكية بتاريخ ٢٠٠٢/٨/١٨ وجريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٠٠٢/٨/١٩ ص٤.

الحكم عبارات معادية للإسلام[١]!!!.

- أنه لم يوجه الاتهام لأمريكى أو يهودى وإنما الاتهامات كلها موجهة للمسلمين!!! حتى إنه أُطلق النار على المصلين فى المساجد!! وسجلت ٦٠,٠٠٠ حادثة عنف ضد المسلمين فى واشنطن خلال عشرة أشهر بعد حادث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١.

- أن الحرب وجهت لأكثر من الفعلة بكثير، فجريمة - على فرض أنها جريمة - ارتكبها أشخاص معدودون القياس يقتضى أن تقتصر المحاكمة عليهم. إلا أنه فى حرب أفغانستان أعلنت الحرب على دولة بكاملها، وهى دولة لم يثبت ضدها شىء، ولو ثبت فإن المحاكمة تكون على الفاعلين فقط. وعم الاضطهاد المسلمين!!.

- أن هذه الحرب قامت على أساس باطل، فأساسها: كل دولة أو مجموعة إما مع أمريكا وإما مع الإرهاب. وهذا خطأ، فالعالم لا ينقسم إلى قسمين فقط: أمريكا والإرهاب. وإنما يوجد من ليس مع أمريكا وليس إرهابيًا.

- حينما اتهمت أمريكا أفغانستان بالإرهاب ذهب الصحفيون إلى أفغانستان، وتجولوا فيها فلم يجدوا فيها أى أثر لأعمال إرهابية: فليس فيها مصانع أسلحة!!!.

وضربتها أمريكا بأقوى الأسلحة فلم تظهر للأفغان أسلحة!!.

وفتكت أمريكا بكثير من المدنيين، ولا ذنب لهم فى هدم مركز التجارة!!!.

- كثير من الدلائل تفيد أن أمر الهجمات كان معلومًا عند الإدارة

(١) أهرام ٢١/٩/٢٠٠٢ ص٢٩.

الأمريكية، وأنه من غير المعقول أن يهاجم مبنى مثل مركز التجارة العالمى، ولا علم للاستخبارات الأمريكية، التى يضرب بها المثل فى التخابر والتحرى. أما مهاجمة مبنى وزارة الدفاع فهذا أيضًا لا يعقل أن يتم دون علم الإدارة الأمريكية، ودون وجود ما يدفعه. وبخاصة أنه لم توجد أية آثار للطائرة التى يدعى أنها صدمت هذا المبنى.

- راحت أمريكا بعد هجمات مركز التجارة العالمى ومبنى البنتاجون تتكلم عن هجمات أخرى، وادعت أن الإرهابيين المسلمين يهاجمونها بـ«الجمرة الخبيثة» «الإنثراكس» وراحوا يتحدثون عن ذلك كثيرًا، مما هيج عواطف غير المسلمين ضد المسلمين، حتى أوذى مسلمون كثيرون من غيرهم.

ثم كانت المفاجأة أن هجمات الجمرة الخبيثة من فعل أحد كبار العلماء العاملين فى المشاريع الأمريكية للدفاع البيولوجى. صرح بهذا دون فوستر الخبير الجنائى بمكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى[1]!!!.

وإذا كان هذا الخبير قد استطاع التوصل إلى فاعل هجمات الجمرة الخبيثة، وأنه أمريكى، فإن الأيام ستكشف عن مرتكبى حادث هجمات مبنى وزارة الدفاع ومركز التجارة، وستكشف عن أبعاد المؤامرة، وقد بدأ ذلك، مما معه يتضح أن المسلمين برءاء، وأن الغرب يمارس الإرهاب كل الإرهاب على المسلمين.

- واجتهدت أمريكا وحلفاؤها فى تهييج العواطف ضد المسلمين:

* فراحوا يصرحون بأن فاعل الهجمات من المسلمين، ولم يذكروا دليلاً يثبت ذلك.

---

(١) جريدة الجمهورية المصرية بتاريخ ٢٠٠٢/٨/١٩ ص١.

* وراحوا يعلنون زيادة الميزانية العسكرية الضعفين، فأصبحت أكثر من ٣٠٠ مليار دولار فى السنة!!!

بينما ميزانية حلف شمال الأطلسى العسكرية تقل عن ١٥٠ مليارًا.

وميزانية روسيا العسكرية ٦٠ مليارًا.

وميزانية الصين العسكرية ٤٠ مليارًا.

وميزانية اليابان العسكرية ٤٠ مليارًا[1].

* وراحوا يعلنون كل التخوف من يوم ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠٢ ذكرى هجمات مبنى مركز التجارة والبنتاجون، ومر ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠٢ بكل هدوء!!!.

* وراحوا يعلنون خطة لإخلاء واشنطن فى ربع ساعة.

وكل هذا أذى الكثيرين من المسلمين، ما بين قتل وما بين إصابات، وما بين إهانات. وأسرف المسيحيون واليهود فى هذا، حتى إن الحكومات كم جمدت من أرصدة لمسلمين أو لبنوك دول إسلامية!!!

وكم صودرت من أموال!!!.

وكم صودرت من حريات!!!.

وكم من فوضى أشيعت!!!.

وكم من إهانات لأمة الإسلام، ما بين قتل دولة منها، وما بين الانتقاص من قدر دينها، وما بين اضطهادها!!!.

---

(١) جريدة الأهرام ٢٠٠٢/٩/٤ ص٩.

● **أدلة التآمر:**

* ولقد بدأ يظهر فى الأفق أن الأمر مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين، يدل على ذلك ما يأتى:

١ - أن الحادث قد علمت به هيئات استخباراتية متعددة، وأخبرت أمريكا.

٢ - أن مبنى مركز التجارة العالمى يعمل به خمسة آلاف يهودى، لم يدخلوه يوم الحادث (١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١) مما يدل على علمهم بالحادث ووقته.

٣ - رأت سيدة مجموعة من الشباب فى مبنى قريب وهم يستعدون لتصوير الحادث، مما يدل على علمهم بوقت وقوعه.

٤ - لا يمكن أن يقوم بهذا الحادث إلا خبير طيران، له دراية بمنطقة مركز التجارة العالمى بنيويورك.

٥ - لا يمكن لطائرة مدنية أن تحدث كل هذا الدمار لمجرد اصطدامها بالمبنى وإنما لابد أنه كان بالمبنى أشياء أخرى متفجرة ساعدت على ذلك.

٦ - لم تصطدم أى طائرة بمبنى وزارة الدفاع (البنتاجون) فلم يوجد أى أثر لطائرة[1]. وهذا يدل على تآمر البيانات والتصريحات.

٧ - لم يعتقل فى الحادث أى شخص أمريكى أو من دول الحلفاء!!.

٨ - لم يقف أمر الحرب عند أفغانستان، وإنما:

- شجعت أمريكا اليهود للقضاء على المسلمين، واعتضدت الصهيونية بالصليبية، كما هو مشاهد على أرض فلسطين، وكل عاقل يشفق على

(١) الخديعة المرعبة ص١١.

الفلسطينيين إلا أن أمريكا وحلفاءها يهمهم هدفهم الأساسى، وهو الحرب الصليبية على الإسلام والمسلمين.

- وساعدت أمريكا كثيرًا من الدول على اضطهاد المسلمين، فساعدت الهند على كشمير وباكستان.

- وساعدت الفلبين على المسلمين.

- وأرغمت كثيرًا من الدول على إيذاء المسلمين.

- وها هى أمريكا تدق طبول الحرب على العراق، وتلوح بضرب السودان، ودولٍ أخرى إسلامية.

٩ - تصدر البيانات عن هيئات أمريكية مسئولة إلا أنها متناقضة، فمرة عدد القتلى فى مركز التجارة ٦٠٠٠ قتيل.

ومرة ٥٠٠٠ قتيل.

ومرة ٣٥٠٠ قتيل.

والذى يتضح للمتابع للأحداث أن عدد القتلى لا يصل إلى خمسمائة، وكان يمكنهم منع وقوع الحادث.

١٠ - نشرت هيئات إعلامية[١] أن أوراق غزو أفغانستان كانت على مكتب الرئيس الأمريكى قبل أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١. ولم يكن الموقف هادئًا قبل هذه الحرب، وإنما كانت هناك حرب قوية بين أمريكا وتنظيم طالبان، على إثر ذلك حاصرت أمريكا أفغانستان حصارًا كاملاً مات على إثره أكثر من ٧٠,٠٠٠، ومرض بسببه أكثر من ذلك!!! استمر ذلك الحصار ثلاث سنوات قبل أحداث ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١.

(١) منها: شبكة التليفزيون (N.B.C) الأمريكية.

وهكذا يتضح أن هذه الحرب إنما هى مؤامرة وأن قساة الغرب هم الذين يمارسون الإرهاب ضد المسلمين، ومن العجيب أنهم وهم يمارسون الإرهاب «الإجرام» ضد المسلمين يدّعون أن المسلمين هم الإرهابيون!!

يقول الكاتب والروائى والشاعر الأمريكى جور فيدال ٧٦ سنة إن الشعب الأمريكى لا يستحق ما حدث له، ولا يستحق الحكومات التى توالت فى أمريكا طوال الأربعين سنة الماضية، فهى التى تسببت فى كل ما يعانيه الأمريكيون بأعمالها فى مختلف أنحاء العالم. ولكن للأسف يتلقى الأمريكيون معلومات مغلوطة من حكوماتهم، ومن ثم فهم لا يدركون ولا يستوعبون مساوئ سياستهم فى الخارج، حيث وصل عدد التدخلات العسكرية فى الدول الأخرى إلى ٢٥٠ تدخلاً منذ عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٩٨، وحتى هذه القائمة ليست كاملة فهى لا تشمل دولاً مثل شيلى لأنها كانت عملية لوكالة المخابرات المركزية، وإنما اكتفيت بذكر العمليات العسكرية.

ويضيف هذا الكاتب الأمريكى العجوز: إن الحكومة الأمريكية تتلاعب بالبراءة النسبية للأمريكيين، أو بالأحرى بجهلهم، خاصة بسبب استبعاد تدريس مادة الجغرافيا فى المدارس الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، حتى لا يعرف الأمريكيون أين يقصفون ويتدخلون عسكريًا، ومن هم الناس الذين زاد غضبهم بسقوط القنابل عليهم، ثم يبدى الكاتب اعتقاده بأن الشعب الأفغانى ليس له أى علاقة بما حدث للولايات المتحدة فى ١١ سبتمبر!!! ويبرهن على قوله بأنه عندما وصلت القوات الأمريكية إلى أفغانستان سألوا قائد العمليات العسكرية عن الوقت الذى يتطلبه القبض على أسامة بن لادن، فرد مندهشًا: إن هذا ليس السبب

الذى جاء من أجله إلى أفغانستان، فلقد قالوا لنا إن الطالبان أناس أشرار ويعاملون النساء معاملة سيئة للغاية: ثم يقول الكاتب: لكن الحقيقة أن الأمر يتعلق بالهيمنة على مصادر الطاقة!!!

والخلاصة أن جور فيدال يطالب الولايات المتحدة بأن تسحب قواتها وأسلحتها من العالم وتعود إلى داخل حدودها الجغرافية بقوله: لقد آن الأوان لأن تتقاعد الإمبراطورية الأمريكية، فهى لا تفعل الخير بأى أحد. وكلفت الأمريكيين ثروات لا تعد ولا تحصى، وهذا يبعث على الاعتقاد أنها ستهوى فى النهاية لا محالة، عندما تعجز عن الحصول على الأموال الكافية لتشغيلها[١].

* * *

(١) جريدة الأهرام ١١/٩/٢٠٠٢ ص٦ نقلا عن كتاب لهذا الكاتب الأمريكى.

٥ ـ الإرهاب الروسى فى الشيشان

جمهورية الشيشان تقع فى الأطراف الشرقية لمرتفعات القوقاز، ويحدها من الشرق جمهورية داغستان، ومن الشمال داغستان وروسيا، ومن الجنوب جورجيا، ومن الغرب أستيا الشمالية.

وعاصمة الشيشان: جروزنى.

ومساحة الشيشان: ١٩٣٠٠ كيلو متر مربع.

ويكسو غالبية هذه الجمهورية الغابات الكثيفة، التى فى معظمها أشجار الزان، وعدد السكان: ١,٥ مليون نسمة.

وفيها موارد اقتصادية وافرة على رأسها البترول، وبها زراعة فى حوض نهر تيرك، وبها صناعات تقوم على البترول وعلى الزراعة. ولقد أسلم الشيشانيون قديمًا، زمن خلافة عمر بن الخطاب فى النصف الأول من القرن الهجرى، والقرن السابع الميلادى.

ولغة الشيشان تكتب باللغة العربية. وهم أمة يعتزون بإسلامهم، وعلاقتهم بالعالم الإسلامى علاقة قوية وبخاصة فى الجانب العلمى.

وكثيرًا ما طغت روسيا على الشيشان، روسيا النصرانية الأرثوذكسية، أساءت إلى الشيشان قديمًا وحديثًا، فاحتلت هذه الجمهورية عدة مرات، وحاولت صرف الشيشانيين عن دينهم الإسلام، وعن لغتهم الشيشانية المكتوبة باللغة العربية إلى اللغة الروسية الكيريلية!! إلا أن الشيشانيين ما زادهم ذلك إلا تمسكًا بدينهم ولغتهم.

ومن أراد معرفة إرهاب روسيا القيصرية، والتى كانت قبل الثورة

البلشفية (الشيوعية) فى أكتوبر ١٩١٧ فليقرأ البيان الأول الذى أصدره لينين قائد الثورة البلشفية فى نوفمبر ١٩١٧ أى بعد توليه السلطة بشهر واحد والذى أقتطع منه قوله:

يا مسلمى روسيا، يا تتار الفولجا والقرم، أيها القرغيز، وسكان سيبريا والتركستان، يا سكان القوقاز الأبطال، وقبائل الشاشان وسكان الجبل الأشداء، أنتم يا من هُدِّمت مساجدكم، وحطمت معابدكم، ومزق القياصرة[١] الطغاة قرآنكم، وحاربوا دينكم، وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم . .[٢].

أما إرهاب روسيا الشيوعية فقد تقدم منه شىء، ومنه شىء هنا، والمتتبع للأخبار يعلم إرهاب روسيا المعاصر!!

● ومن طغيان الروس على الشيشان:

* فى عام ١٩٤٤ أمر ستالين بنفى الشيشانيين من بلادهم إلى كازاخستان، مما كان سببًا فى إبادة نصف الشيشانيين فى الطريق وفى المنفى!!.

وما ذلك إلا لسوء المعاملة والإجرام الذى ارتكب فى حقهم، لقد نقلوهم فى شاحنات لنقل المواشى!! وعاملوهم بكل إجرام، وأنزلوهم فى أسوأ الأماكن، ولم توفر لهم أسباب الحياة!!!.

أما النصف الباقى فَقُدِّر لهم أن يعودوا إلى بلادهم حين تقرر رد اعتبار الشيشان بعد حوالى عشرين عامًا!!!.

لقد كانت الشيشان ضمن الدول الإسلامية التى احتلتها روسيا،

---
(١) لقب حكام روسيا قبل الثورة البلشفية.
(٢) المسلمون فى القوقاز ص٤٥ الخطاب بكامله من ص٤٤ إلى ص٤٨.

وأدخلتها ضمن الاتحاد السوفياتى، وحرموا عليهم الإسلام والقرآن، فظل الإسلام فى قلوبهم، والقرآن المنظم لحياتهم.

وفى سنة ١٩٩١ انهار الاتحاد السوفياتى، فأعلنت الشيشان استقلالها إلا أن روسيا رفضت ذلك.

وفى ديسمبر سنة ١٩٩٤م أعلنت روسيا الحرب على الشيشان، وكانت روسيا هى الوريث لأسلحة الاتحاد السوفياتى، ولم تكن هناك أدنى مقارنة بين قوتها وقوة الشيشان، إلا أنها استعملت كل قوتها ضد الشيشانيين، فدمرت كل شىء، سواء من المرافق أو المنازل، أو وسائل الاقتصاد، حتى إن الذين ذهبوا إلى الشيشان من الإعلاميين يقولون: إن الخراب لا يوصف.

● وترجع حرب روسيا الشيشان للأسباب الآتية:

١ ـ أن دين الشيشان هو الإسلام، ولو استقلت الشيشان استقلت الدول الإسلامية الأخرى، مما يضيع على روسيا أملها أن تُخْضِع الدول الإسلامية لنفوذها مرة أخرى، لتعود دولة عالمية.

٢ ـ أن الشيشان مصدر عظيم للبترول، وممر مهم لأنابيب البترول والغاز الطبيعى.

٣ ـ أنه حينما أعلن الشيشان استقلالهم عن روسيا، كان حاكم روسيا [يلتسن] قد بدأ مسيرته الهوجاء صوب اقتصاد السوق، فلما تعثرت خطواته، واضطربت خططه طاش صوابه، وواتته فكرة جهنمية يرى أنها تنقذه من ورطته ألا وهى: إعلان الحرب على الشيشان!!.

وهذا شأن كثير من السياسيين، حينما يحيط بهم الفشل يعلنون الحرب، رائين أنه يجمع حولهم شعوبهم، وينقذهم من هزيمتهم، وما

علموا أن التاريخ يسجل، وأن العبرة ليست بتجمع الناس بوسائل الإعلام.

ظن يلتسن أنه فى أيام قليلة سيخطف النصر، مما يعلى قدره عند شعبه، وفعلا أعلن الحرب على الشيشان!!!.

وفى الأيام الثلاثة الأولى قتل من الشيشان ٣٠٠٠٠ شخص.

وفى أيامنا هذه (أكتوبر ٢٠٠٢) تفيد الإحصائيات أنه:

- بلغ عدد القتلى ٨٠٠٠٠ شيشانى حسبما تفيده التقارير الدولية، أما المطلعون على الأمور فيقولون هذا رقم قليل جدًا!!

- تم تدمير ٦٠٠٠٠ منزل فى جروزنى - العاصمة - وحدها!!!

- تم حرق ٣٠٠٠٠ هكتار من الأراضى الزراعية!!!.

- تم تدمير كامل المنشآت الصناعية!!!.

- تم تدمير كل عامر فى البلاد، فلا يرى الناظر فى جروزنى وغيرها سوى أكوام الحجارة والهياكل الأسمنتية التى كانت عمارات ومدارس ومساجد.

- آلاف القتلى تحت الأنقاض، ولا مغيث ولا منقذ!!

- الأمراض والأوبئة كثرت، ويموت بسببها أعداد يوميًا!!

- شُرِّد الكثيرون من الشيشان، وبلغ عددهم فى الجوشيا وحدها ١٧٥٠٠٠ يعيشون فى المخيمات وحظائر الماشية فى ظروف بالغة البؤس!!!.

* * *

٦ـ الإرهاب الهندى لكشمير والمسلمين

دخل الإسلام الهند فى أواخر القرن الأول الهجرى ويوافقه السابع الميلادى، وأصبحت الهند دولة إسلامية من ذلك التاريخ، واستمرت على ذلك اثنى عشر قرنًا إلى أن وصلها الإنجليز، وحاولوا احتلالها، وذلك فى سنة ١٢٧٤هـ الموافق ١٨٥٧م، واستطاع الإنجليز احتلال بعض أجزاء من الهند، وحاربوا الدولة الإسلامية، وانتصر المسلمون فى أول الأمر، واحتال الإنجليز وتآمروا مما جعلهم يكسبون بعض المعارك على حساب أهل البلاد الأصليين فاحتلوا الهند قرابة تسعين عامًا إلى سنة ١٣٦٧هـ ويوافق ١٩٤٧م.

ولما أرغم الإنجليز على الخروج صنعوا بالبلاد الهندية من المشاكل ما يجعلها تعيش السنوات بل القرون فى نيران هذه المشاكل!!!.

إن الإنجليز لم يخرجوا من شبه القارة الهندية إلا بعد أن أشعلوا الفتن بين طوائف السكان!! وقسموا البلاد تقسيمًا فى غاية السوء، فالمناجم فى دولة والمصانع فى أخرى. والموانئ فى دولة، وليس للأخرى موانئ!!!.

إن الإنجليز لم يخرجوا من الهند إلا بعد أن قسموها إلى:

- باكستان الشرقية ـ هى الآن بنجلاديش ـ وهى دولة إسلامية.
- الهند، وهى دولة كثير من سكانها مسلمون لكن الحكم بيد الهندوس.
- باكستان الغربية، وهى دولة إسلامية.
- ولاية كشمير، وهذه يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين، منهم ثمانية

ملايين مسلم وهذه علقوها بين باكستان والهند، وعلى الرغم من أن ثلاثة أرباع سكانها من المسلمين، إلا أن الإنجليز أعطوا الحكم لهندوسى، ودارت الحرب بين الهند وكشمير سنة ١٩٥٩ ولعبت الأمم وبخاصة الإنجليز بما مكّن الهند من احتلال ثلثى مساحة كشمير وأعلنوا ضمها إلى الهند بينما ظل الثلث الثالث تعينه باكستان، لكنها لم تضمه إليها بل أعلنت أنه «كشمير آزاد» أى «كشمير الحرة» وفى هذا الثلث الحر يعيش نصف السكان أى خمسة ملايين نسمة، وعلى هذا فالثلثان اللذان احتلتهما الهند معظم سكانه مسلمون، ويحكمهم هندوسى، وإجرام الهندوس ضد المسلمين تتناقله الأخبار كثيرًا. والإحصائيات تفيد ما يأتى:

- عدد القتلى من المسلمين فى الجزء المحتل من كشمير قرابة مائة ألف مسلم!!!.
- وعدد الجرحى مائة وعشرون ألف مسلم!!!.
- وعدد العسكريين الهنود فى هذا الجزء المحتل من كشمير يمثل أعلى نسبة وجود عسكرى فى أى منطقة فى العالم.

أما فى المنطقة الحرة من كشمير، والتى يشيع أنها مع باكستان، فالإحصائيات فى الثلاث عشرة سنة الأخيرة من ١٩٨٩ - ٢٠٠٢ تفيد ما يأتى:

- عدد القتلى ٨٣٠٠٠ قتيل مسلم!!!
- عدد المنازل والمحال المحترقة أكثر من ١٠,٠٠٠ منزل ومحل!!
- عدد الأيتام أكثر من ١٠,٠٠٠ طفل.
- عدد الأرامل قرابة ٢١,٠٠٠ سيدة!!

- عدد المغتصبات ٩,٠٠٠ سيدة أو فتاة!!.

وهكذا، فلا المسلمون الذين هم تحت الاحتلال الهندى نجوا من «الإرهاب الهندى» ولا المسلمون الذين هم بعيدون عن الاحتلال الهندى نجوا من الإرهاب الهندى!!.

ومَنْ تابع الأخبار وجد أن المسلمين الذين يعيشون فى الهند، وهم كثرة يعانون أشد المعاناة من «إجرام الهندوس» ويصور شيئًا من ذلك أنه عند صدور قرار تقسيم شبه القارة الهندية إلى «هند» و«باكستان» فر كثير من المسلمين إلى «باكستان» وتبعهم الهندوس فقتلوا منهم مليون مسلم!!.

إنهم يفرون.

إنهم يتركون بلادهم لكم.

إنهم يتركون أموالهم لكم.

فلم القتل؟!!!.

إنه الإرهاب!!.

إن عداء الهندوس للمسلمين فى غاية القسوة، والحكومة تبارك ذلك، والمنظمات العالمية يروقها ذلك، والأخبار مكتومة عالميًا!!!!.

وأنقل بعض ما قالته كاتبة هندوسية، كتبت تقول: إن قادة الغوغاء (الهندوس) كان لديهم قوائم على الكمبيوتر توضح منازل المسلمين ومحالهم وشركاتهم، بل وشركاءهم. وقالت: كان لديهم تليفونات محمولة لتنسيق العمل، وكان لديهم شاحنات محملة بآلاف من إسطوانات الغاز التى تم تخزينها مسبقًا منذ أسابيع، والتى استخدموها لتفجير المؤسسات التجارية للمسلمين. لم يتمتعوا فقط بحماية الشرطة

وتواطؤ الشرطة، بل أيضًا تغطية الشرطة لهم بنيرانها وأنحت الكاتبة باللائمة على حزب رئيس الوزراء الهندى [أتال بيهارى فاجباى] حزب بهاراتيا جانتا والمنظمات التابعة له، بشأن استمرار سفك الدماء، وقالت: إنه بعد تلقى الحزب هزائم مخزية فى الانتخابات الأخيرة، حاولت حكومة الحزب فى جوجارات إثارة المشاعر الطائفية للهندوس لإعادة الاستحواذ على الأصوات!!.

وقالت الكاتبة: إن بصمة الفاشية القاسية ظهرت فى الهند!!! ودعونا لا ننسى هذا التاريخ: ربيع ٢٠٠٢م(١).

ولقد نقلت الأخبار إلينا منذ عشر سنوات أن الهندوس قد هدموا «المسجد البابرى» لإقامة معبد هندوسى مكانه!!

وها هم منذ عام (أى فى سبتمبر سنة ٢٠٠١) قد هدموا مسجدًا أثريًا آخر ألا وهو «مسجد سواى بهوج» وهو مسجد أثرى بنى فى القرن السادس عشر الميلادى أى منذ خمسة قرون، هدموه وأقاموا معبدًا هندوسيًا مكانه فى زمن قليل جدًا، والسلطات تبارك هذه الأفعال، وتتكتم عليها.

ولو كانوا يعدلون ما هدموا أماكن عبادة الله عند المسلمين!!

ولو كانوا متحضرين ما هدموا المساجد الأثرية هذه!!.

ولو كانت الحكومة عادلة لمنعت ذلك!!.

لكنه الإرهاب البشع من الهندوس شعبًا وحكومة يقع على المسلمين!!

والإرهاب من الإنجليز إذ يأخذون الدولة من أصحابها فيمزقونها!! ويولون على المسلمين حاكمًا هندوسيًا!!!.

---

(١) مجلة البيان العدد ١٧٦ يونيو يوليو سنة ٢٠٠٢ ص٨٣.

والإرهاب من الدول المجاورة للهند الصين وروسيا يعاونانها على أن تكون قوية تعصف بباكستان وبنجلاديش القطعتين المنتزعتين من الهند المسلمة للمسلمين.. وبكشمير الولاية المسلمة!!

والإرهاب من الدول البعيدة كإسرائيل وأمريكا وأوربا يعاونون الهند لتكون قوية على باكستان وبنجلاديش وكشمير!!.

إنه الإرهاب العالمى على المسلمين!!.

* * *

٧ـ الإرهاب الدولى للعراق

العراق دولة عربية مسلمة، لها تاريخها العريق، قدمت للبشرية الكثير والكثير فى مجال الحضارة والمدنية.

وفى سنة ١٩٩١ اعتدت العراق على الكويت وكانت تريد السعودية، وأنكر العالم عليها ذلك، واستغلت أمريكا وبريطانيا الموقف وقادا حملة على العراق، فخرجت من الكويت دون مقاومة، إلا أن أمريكا وبريطانيا لم يتركاها، وإنما هاجموا أرض العراق ومرافقه، وقتلوا الكثيرين، ودمروا الكثير والكثير، حتى أنكر العالم ذلك على أمريكا وبريطانيا إلا أنهما لم يتركا العراق!!.

وراحت أمريكا وبريطانيا ومن معهما يثيران النعرات بين سكان العراق بغية تقسيمه!! وفرضوا عليه حصارًا أضر به كثيرًا!!

وأترك الإحصائيات تتكلم:

ـ فى الأيام ـ الأولى من الغارات على العراق بلغ عدد القتلى ٢٠٠,٠٠٠ مائتى ألف قتيل!!!

ـ نفذت طائرات التحالف ـ أمريكا وبريطانيا ومن معهما ـ ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ مائة ألف طلعة جوية خلال ٤٣ يومًا من القتال!!!.

ـ أسقطت هذه الطائرات فى هذه الطلعات ما يزيد على ٩٥,٠٠٠ طن من القنابل!!! وهذا يعادل ٥٠٠٠ قنبلة نووية مثل التى ألقيت على هيروشيما.

ـ استخدمت قنابل النابالم ضد الجيش العراقى سواء فى الثكنات أو الخنادق الأرضية!!! والنابالم قنابل ممنوعة فى الاتفاقيات الدولية.

- استخدمت قوات التحالف ٧٠,٠٠٠ سبعين ألف قنبلة من القنابل الانشطارية القاتلة والمحظورة دوليًا. وبمقدور كل قنبلة الانقسام إلى مئات القنابل الصغيرة، وإحداث آلاف الانفجارات عند ملامسة الجو!!! استخدمت هذه القنابل ضد السكان المدنيين العراقيين. حتى إن المدنيين الهاربين ألقيت عليهم قنابل قتلت ٢٥,٠٠٠ فى الطريق من الكويت إلى البصرة!!!.

- استخدمت الصواريخ الموجهة بالليزر فى قصف ملجأ العامرية والذى يتسع لألف شخص، مما صهر أجساد الأطفال والنساء والشيوخ فى درجة حرارة وصلت آلاف الدرجات المئوية!!.

- تم تدمير ٩٠٪ من محطات الطاقة الكهربائية فى العراق.

- تم تدمير ٦٠٪ من محطات تنقية المياه فى العراق.

- تم تدمير أغلب مواقع النفط ومخازن الوقود.

- تم تدمير مراكز التموين الغذائى.

- تم تدمير المواقع المدنية من مساكن ومدارس ومستشفيات، ومراكز اتصال ومساجد وكنائس.

- تم حصار العراق وعزله عن العالم عزلاً أثر فى الكثير من سبل الحياة، مما أضر بأهل العراق.

- بدأت تظهر نتائج مخيفة فى جميع مجالات الحياة العامة الصحية والبيئية والاجتماعية والتربوية والعلمية والاقتصادية:

- فبلغ حجم التضخم فى نهاية سنة ١٩٩٤ معدل ٢٤,٠٠٠٪ سنويًا.

- تم تسريح ما يقارب ثلثى القوى العاملة.

- توقفت صناعات كثيرة.

- تحطم كثير من المرافق.

- زادت معدلات البطالة.

- زات معدلات الجريمة.

ولنأخذ شريحة من المجتمع العراقى نستبين من خلالها آثار هذه الحرب وهذا الحصار، فلنأخذ أطفال العراق:

- بلغ عدد الأطفال الذين توفوا فى العراق بسبب سوء التغذية نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ مليونى طفل منذ بداية الحصار إلى فبراير سنة ٢٠٠٠ أى خلال تسع سنوات.

وهذا الرقم إذا قيس بما قبل الحصار تكون الزيادة فى الوفيات بنسبة ٢٠٠٠٪.

- بلغ عدد الأطفال الذين توفوا عام ١٩٩٨: ١٨٠٠٠٠ طفل وإذا قورن بما قبل الحصار نجد الزيادة ٦٦٪.

- بلغ عدد الأطفال المولودين ببنية ضعيفة وزن أقل من ٢,٥ كيلو ٢٣,٥٪ عام ١٩٩٨ بينما كان عام ١٩٩٠ ٥٪.

- زادت نسبة الأطفال المصابين بالأمراض الانتقالية كالحصبة والتيفود، والسعال الديكى ٨٠٠٪.

- سجلت نسبة كبيرة لتفشى أمراض كانت اختفت من العراق، كالجرب والكوليرا، إذ سجل أكثر من ٤٠,٠٠٠ حالة عام ١٩٩٨ بعدما كانت تعادل الصفر فى عام ١٩٩٠م.

- ارتفعت نسبة المواليد المعوقين جراء نقص الأغذية والأدوية وتأثيرات الأسلحة المحرمة التى استخدمت ضد العراق خلال حرب الخليج.

- بلغت نسبة النساء اللاتى يعانين من الأنيميا (فقر الدم) ٧٠٪ من نساء العراق.

وفى هذه الأيام (سبتمبر وأكتوبر سنة ٢٠٠٢) تعلن أمريكا الحرب على العراق، وبدأت فى نقل المعدات والذخائر. والعالم يرفض، ولا سمع ولا استجابة من أمريكا.

ويتساءل كل عاقل: لم كل هذا الظلم؟

لم كل هذا الطغيان؟

ماذا فعل العراق؟

ولن يجد العاقل جوابًا إلا أنه الإرهاب الأمريكى البريطانى للعراق!!!

سئلت مسئولة فى الحكومة الأمريكية: لماذا حرب العراق؟ فقالت: العالم بدون «صدام» أحسن!!.

ويحدث العاقل نفسه: أحسن فى رأيكم. ورأيكم ليس ملزمًا لغيركم.

أتحاربون حربًا تراق فيها الدماء، وتزهق الأرواح، وتدمر وسائل الحياة من أجل العالم بدون فلان أحسن؟

إن المصالح تدفع الدول إلى الحروب لأن أصحاب القرار يحرصون على المصالح، ولا يبالون بالسلام!!! إنهم قساة قسوة تجعل الدماء والدمار أمورًا هينة فى سبيل مصالحهم. وحينما أنشأت العراق مفاعلاً نوويًا تآمرت دولة اليهود وأمريكا ودُمِّر المفاعل فى يونيو سنة ١٩٨١، بل وقتل مهندسه بطريقة الاغتيال فى دولة أوربية!!!.

وها هى مصالح اليهود تلتقى مع مصالح أمريكا فتشن الحروب على العراق ولا ذنب ولا جريرة له!!!.

إنه الإرهاب من اليهود والنصارى على المسلمين!!!.

٨ـ الإرهاب العام

وإنى وقد تكلمت عن الإرهاب «الإجرام» بين الدول والأمم، فهناك إرهاب يعم الأرض التى نعيش عليها، يفسد على الكائنات حياتها، ويدمر الأرض بمن عليها!!!.

ومن أمثلة ذلك:

ثقب الأوزون ـ والاحتباس الحرارى ـ وتلوث البيئة.

وأفصل القول نوع تفصيل:

١ـ ثقب الأوزون:

خلق الله تبارك وتعالى الأرض وأحاطها بغلاف من الهواء، وغلاف من «الأوزون» ومن خصائص «الأوزون» أنه يحجز أنواعًا من أشعة الشمس الضارة بالأحياء على الأرض.

ونتيجة للمواد المنبعثة من المصانع الضخمة، والأسلحة المتفجرة حدث ثقب فى طبقة الأوزون هذه فى القطب الجنوبى من الكرة الأرضية، وهذا الثقب يسمح بمرور الأشعة فوق البنفسجية الضارة التى تسبب السرطانات الجلدية الخطيرة، وتسبب أيضًا العمى لأغلب المخلوقات الحية التى تتعرض لهذه الأشعة.

٢ـ الاحتباس الحرارى:

خلق الله سبحانه وتعالى الكرة الأرضية بدرجة حرارة تناسب الحياة عليها، ولو أن هذه الدرجة زادت أو نقصت أضرت بالحياة على الكرة الأرضية.

ونتيجة لما تطرده المصانع الضخمة، والصواريخ العملاقة، والقنابل

الثقيلة من ثاني أكسيد الكربون ارتفعت درجة حرارة الأرض!!!.

وقد نتج عن ذلك:

أ - اندلاع الحرائق الشاسعة في الغابات.

ب - ظهور الأعاصير كإعصار «النينو» فوق المحيطين الهادي والأطلنطي الذي سبب دمارًا واسعًا في الأمريكتين وفي شرق آسيا.

جـ - ابتداء ذوبان الجليد في القطب الشمالي والجنوبي الذي سيؤدي إلى ارتفاع مستوى البحار، وفيضانات مدمرة في أنحاء الكرة الأرضية.

٣ - تلوث البيئة:

خلق الله سبحانه وتعالى البيئة بنظام رتيب، تجدد نفسها، وتحفظ نظامها، على الرغم مما تستفيده المخلوقات منها، سواء في الأقوات، أو الملابس، أو المساكن.

ولما تجرأ بعض الدول وأقاموا المصانع الجبارة، وأطلقوا الصواريخ الخطيرة، وفجروا القنابل الثقيلة، وأقاموا المفاعلات النووية التي قد تسرب بعض ما فيها، وربما انفجرت، واستعملوا الأجهزة العملاقة، أدى كل ذلك إلى تلوث البيئة، وأصبحت الحياة فيها غير صحية!!

إن البحث العلمي والتقدم الصناعي مكّنا بعض الدول من امتلاك أسلحة ومواد فتّاكة، وهذه الدول لم تراع قانونًا ولا خلقًا، فاستخدمت المواد المدمرة في تحقيق مصالحها ولو على حساب البيئة التي تعيش فيها المخلوقات كلها!!!.

وأسوق بعض النماذج التي تبين فداحة هذه المواد:

* إن القنبلة الذرية التي أسقطت على هيروشيما في الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥م الرطل الواحد من مادة هذه القنبلة يصدر نارًا تعادل

النار الصادرة من ٥,٠٠٠,٠٠٠ (خمسة ملايين) رطل فحم!!!

أو من ١٦,٠٠٠,٠٠٠ (١٦ مليون) لتر بنزين.

أو من ١٥,٠٠٠,٠٠٠ (١٥ مليون كيلو) من أشد أنواع الديناميت انفجارًا!!!.

* وهذه القنبلة بدائية جدًا إذا قورنت بالقنابل الحالية.

* إن إنتاج كيلو جرام واحد من «البلوتونيوم»[1] يُنتج المخلفات التالية:

١٣٠٠ لتر من السوائل ذات الخاصية الإشعاعية العالية.

أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ (٢٠٠ ألف) كيلو جرام من المخلفات ذات الخاصية الإشعاعية المتوسطة والمنخفضة.

١٠,٠٠٠,٠٠٠ (عشرة ملايين) لتر من مياه التبريد الملوثة.

* إن اتفاقية الحد من التسلح (Start 1) ستارت ١ والتى تنص على تخفيض الترسانة النووية من ٦٠,٠٠٠ رأس نووى حربى فى سنة ١٩٩٨ إلى ٢٢,٠٠٠ رأس فى سنة ٢٠٠٥ هذه الاتفاقية فى ظاهرها أنها رحمة، أما حقيقة الأمر فإنها شر مستطير، ذلك أن تفكيك هذه الرؤوس النووية سيطلق ٢٥٧ طن بلوتونيوم، و١٣١٠طن يورانيوم غنى الخواص.

وتظهر خطورة هذا التفكيك إذا علمنا أنه إذا كان سيطلق ٢٥٧ طن بلوتونيوم وهو يساوى ٢٥٧,٠٠٠ كجم فإن ١٥٠ كجم بلوتونيوم كمية كافية لإحداث سرطان رئة لكافة سكان الأرض إذا وزع توزيعًا متساويًا على الكرة الأرضية!!! ومعنى ذلك أن كمية البلوتونيوم وحدها يمكن أن تقتل أهل الأرض ٢٥٧,٠٠٠/ ١٥٠ = ١٧١٣مرة.

ولولا لطف الله، وأن هذه المواد تظل فى الصحارى، وإلا لمات

(١) مادة تستخدم فى صناعة القنبلة النووية.

الناس، لكنا نخشى آثار ذلك على الإنسانية وبقية المخلوقات.

فليتها ما كانت هذه الأسلحة، وليت تفكيكها لا يحدث، ونسأل الله أن يقينا شر هؤلاء وما صنعوا.

* إن الدبابة تستهلك فى الساعة الواحدة ١١١٣ لترًا من البنزين فى المتوسط.

والطائرة المقاتلة تستهلك فى الساعة ١٣٦٧١ لترًا من البنزين فى المتوسط ومصانع التسليح تنتج ٩٧٪ من مخلفات المواد عالية السمية، و٧٨٪ من المواد ذات الخاصية الإشعاعية المتوسطة والمنخفضة السمية. وهذا يعادل ١,٤ مليار كورى. وهذا يساوى ٢٨ ضعف الإشعاعات التى أطلقها مفاعل تشيرنوبل حينما انفجر، فقد نتج عنه (٥٠مليون كورى) وعليه فالمواد السامة التى تصدر عن مصانع التسليح كأن ٢٨ مفاعلاً نوويًا قد انفجروا!!

* إن مصانع التسليح قد فجرت ١٨٠٠ قنبلة هيدروجينية خلال التجارب وأجرت أكثر من ٢٠٠٠ تجربة ذرية.

وهذا يصور شيئًا مما يجره التسليح وصانعوه من مخاطر وجرائم فى حق الكوكب الذى نعيش عليه الأرض.

* إن تجارة السلاح العالمية هى أغنى نشاط اقتصادى على مستوى العالم!!!.

ولقد بلغ ثمن الأسلحة المصدرة من الدول الكبرى إلى الدول النامية سنة ٢٠٠٠ مبلغ ٦١ بليون دولار!!! ٢٦ بليون من أمريكا. و١٠ بليون من روسيا و٧ بليون من فرنسا و٢ بليون واحد من ألمانيا، ومن إنجلترا بليون ومن الصين ٤ بليون سنة ١٩٩٩ أما سنة ٢٠٠٠ فانخفض انخفاضًا شديدًا ومن إيطاليا ١٠٠ مليون.

والدول الكبرى إذ تُصَدِّر هذه الأسلحة للدول النامية فإنها أيضًا تصدر لها أفكار الحروب وتَؤُزُّها أزًا على المعارك حتى تَرُوج تجارة السلاح، متناسين أن هذه الحروب على حساب سلامة الأرض التى نعيش عليها، وعلى حساب مستوى معيشة الناس.

ومن السلاح الألغام التى تزرع أثناء الحروب فى الأرض، وهذه تدمر البشرية والأرض التى نعيش عليها. إن اللغم عبارة عن قنبلة تنفجر عند الاحتكاك بها، توضع فى الأرض بأعداد كبيرة، تقتل من سار على الأرض فوقها، وتحرم على الناس استغلال هذه الأرض!!!.

فإذا علمنا أنه قد زرع فى الأرض حتى سنة ٢٠٠٠: ١٥٠ مليون لغم فى أرض ٦٥ دولة.

وأن دولة مصر وحدها فى أرضها ١٧ مليون لغم، معظمها من الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ والتى لم يكن لمصر فيها أى دخل، وهذه الألغام توقع من المصريين ٢٥٠٠٠ شخص من المدنيين الأبرياء كل عام، وهذه الألغام تمنع الاستفادة بمساحات هائلة من الأرض.

إن الدول تزرع الألغام بأعداد وفيرة، فهناك ٢,٥ مليون لغم تزرع فى الأرض سنويًا، وتطورت صناعة الألغام وتنوعت، وانخفضت التكلفة حتى أصبح اللغم الواحد يتكلف ٥و٣ دولار، مما شجع على زيادة زراعة الألغام.

وإذا أراد العالم نزع هذه الألغام فإن ذلك يحتاج إلى أكثر من ١٠٠ بليون دولار!!! لكن أنى له بذلك، وهى تزداد كما وكيفا؟!!

إن إسرائيل الآن تقتل الفلسطينيين بألغام متقدمة جدًا، فألغام ضد الأفراد يجرى تفجيرها عن بُعْد!! وألغام تنفجر فيمن يلبس ألبسة معينة، وفيمن معه أسلحة محددة، وحتى فيمن يلبس حذاء من الكاوتشوك.

أما أعداد الأسلحة المخزنة فليس أمامى إحصائية حديثة شاملة، فأكتفى بأنه فى سنة ٢٠٠٠ صدرت أمريكا لإسرائيل أسلحة بقرابة ٣٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ (ثلاثة مليارات) دولار.

وذكرت وكالة الطاقة الأمريكية أن إسرائيل أصبحت القوة السادسة فى مجموعة الدول الكبرى نوويًا، وتمتلك إسرائيل ما بين ٣٠٠ و ٥٠٠ كيلو جرام من البلوتونيوم الصالح لصنع الأسلحة.

وكما تقدم فهذه الكمية من البلوتونيوم كافية لقتل أهل الأرض جميعًا ثلاث مرات، تمتلكها إسرائيل المغتصبة لقدر من أرض فلسطين الدولة الصغيرة أصلا!!.

وهكذا يتضح أن الدول الكبرى قد أشاعت فى الأرض إرهابًا بدأت تظهر عواقبه الوخيمة على أهل الأرض جميعًا، ويسأل كل عاقل نفسه: من الذى أحدث كل هذا الإرهاب الذى يهدد الحياة كلها على الأرض؟

ولا يجد جوابًا إلا إنها الدول الكبرى، من أمثال أمريكا وروسيا وفرنسا وإنجلترا والصين، والكيان اليهودى فى فلسطين وغيرها من دول العالم.

والمتخصصون فى علوم الكون يطالبون هذه الدول أن يرحموا الأرض من السموم التى ترسلها مصانعهم، ومن الشر الذى يخرج من أسلحتهم وحروبهم فهل من مجيب؟

لا أعلم أن دولة من هذه الدول استجابت، وإنما هم سادرون فى غيهم، مستمرون فى إرهابهم!!!.

* * *

٩ - اليهود والنصارى يرهبون رسول الله محمداً ﷺ

يتصور الإنسان وقوع الإجرام على أحياء ويراه شينًا، أما وقوعه على الأموات فإنه إجرام بالغ فى الشين، ويصعب على الإنسان تصوره إلا أن اليهود والنصارى كثيرًا ما يرتكبون الإجرام «الإرهاب» ضد رسول الإسلام سيدنا محمد ﷺ حتى بعد وفاته، بل بعد وفاته بسنوات، بل بقرون!!

أذكر من ذلك:

١ - محاولة الاستيلاء على جسده ﷺ!!!

فى عام ٥٥٧هـ منتصف القرن السادس الهجرى ومنتصف القرن الثانى عشر الميلادى جاء نصرانيان من بلاد الأندلس إلى مدينة رسول الله ﷺ، وأقاما فى دار فى مواجهة قبر رسول الله ﷺ، وأخذا يحفران سردابًا تحت الأرض، كى يصلوا إلى جسم رسول الله ﷺ، وذلك لنقله إلى مكان يستطيعون فيه العبث بجسمه ﷺ وإذلال المسلمين بذلك!!

واستمرا فى الحفر، وفى البيت بئر، والتراب الناتج عن الحفر يوضع فى هذا البئر، حتى لا يظهر فى البيت شىء. استمرا على ذلك حتى وصلا إلى جدار المسجد وثقباه، واقتربا من قبر رسول الله ﷺ!!! وحينئذ رأى السلطان محمود زنكى حاكم الشام ومصر، وكان أعدل حكام المسلمين آنذاك وأقواهم، رأى رسول الله ﷺ فى النوم يقول له: يا محمود أنقذنى من هذين الشخصين، وأشار له إلى شخصين أشقرين، رآهما السلطان فى الرؤيا جيدًا وعرفهما، واستيقظ السلطان فى أثناء الليل مستغربًا من هذه الرؤيا، فذكر الله ثم نام ثانية، فرأى الرؤيا نفسها مرة

ثانية فاستيقظ متعجبًا فذكر الله ونام، فرأى الرؤيا نفسها مرة ثالثة فاستيقظ، وأحضر وزيره قبل الصبح وأخبره بالرؤيا، وفهما منها أن أمرًا حدث بمدينة النبى ﷺ، وأن على السلطان أن يسرع لتدارك الموقف، وفى الصباح خرج السلطان بحاشيته، وأسرع إلى المدينة، وهناك دعا الناس جميعًا إلى وليمة، فاجتمع المجاورون للمسجد النبوى، ولم يجد فيهما الأشقرين اللذين رآهما فى الرؤيا، فكرر الأمر بإحضار كل المجاورين للمسجد، فأخبر أنه لم يبق سوى رجلين من الأثرياء لا حاجة بهما إلى طعامك، فأمر بضرورة إحضارها، فلما رآهما عرفهما، وأنهما اللذان رآهما فى المنام، وسألهما السلطان عن حالهما، وما جاء بهما، فقالا: إنهما جاءا لمجاورة النبى ﷺ. فكرر السؤال عليهما مرارًا، وهددهما بالعقوبة، فأقرا أنهما من النصارى، وأنهما جاءا للاستيلاء على جسم نبينا!!! ووجد السلطان السرداب الذى حفراه تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلى!!

وهنا يستغرب الإنسان كل الاستغراب، فلماذا هذا العمل الإجرامى الرهيب؟

لماذا العمل على الاستيلاء على جسمه ﷺ؟ إنه فعل النفوس الحاقدة، فعل قساة النصارى، والذى لم يقترف المسلمون أى فعلة مشابهة، فلم يحفر المسلمون قبر أحد من النصارى بقصد الإيذاء؟

ولم يحفر المسلمون قبر أحد من اليهود بقصد الإيذاء؟

إن الإسلام لا يسمح لنا، وأخلاقنا النابعة من ديننا لا تسمح لنا، والمسلمون لا يذكرون عيسى أو موسى إلا بكل إيمان بأن كلا منهما رسول الله!!

إن هذا الفعل لم يكن من هذين الشخصين النصرانيين فقط، وإنما هى

مؤامرة خطط لها كثيرون، وجنَّدوا هذين للتنفيذ، وهى جريمة فاقت كل تصور، وإرهاب فاق الخيال، ولا سبب له إلا الإجرام وضغائن النفوس على رسول أرسله الله رحمة للعالمين[١].

٢ ـ اليهود يسيئون إليه ﷺ!!!

وفى زماننا هذا يتعمد اليهود الإساءة إلى رسول الله ﷺ!!!.

ولا ينسى المسلمون فعلة اليهود فى صفر ١٤١٨ الموافق يونيو ١٩٩٧ حينما قام عدد من المستعمرين اليهود فى مدينة الخليل بفلسطين وبحراسة من الجيش، قاموا بلصق لوحات على الجدران، يظهر على هذه اللوحات صورة لخنزير على رأسه كوفية فلسطينية كتب عليها «محمد» بالإنجليزية والعربية، ويمسك الخنزير قلما يكتب به كلمة «قرآن».

وتلقى أفراد فلسطينيون وجهات فلسطينية صورًا بالبريد الإلكترونى، عليها رسم خنزير كتب عليه «محمد» وتحته خنازير صغار يرضعون منه كتب عليها كلمة «فلسطينيون».

٣ ـ رجال الدين اليهودى والمسيحى يسيئون إليه ﷺ!!!

ولم يكن الأمر حكرًا على المستعمرين اليهود، وإنما وصل إلى رجال الدين وصل إلى حاخامات اليهود، وقساوسة النصارى، ينشرون عبر وسائل الإعلام إساءات لرسول الله محمد ﷺ، يصفونه ﷺ بصفات لا يستطيعون نسبتها لأى مسئول فى دولة عادية.

من ذلك ما قاله القسيس الأمريكى «جيرى فالويل» فى حديث له لشبكة التليفزيون الأمريكية سى إن إن قال فيه: إنه يمثل ١٦ مليون

(١) ورد هذا الخبر فى كثير من كتب المدينة النبوية، ومنها: تاريخ المدينة للمطرى، ونقلها عنه ابن العماد فى كتابه «شذرات الذهب» جـ٤ ص٢٣٠.

إنجيلى أمريكى من الطائفة المعمدنية، وأنه يعتقد أن نبى الإسلام كان رجلا عنيفًا يدعو إلى الحرب!! وقال هذا القسيس إن النبى موسى أعطى القوة، والمسيح بشر بالسلام أما (رسول الله) محمد (ﷺ) فقد بشر بعكس ذلك، وادعى هذا القسيس أن العقيدة الإسلامية تدعو إلى الحقد!!!

وغير فالويل هذا كثيرون من أمثال القسيس بات روبرتسون وغيرهم وكثير من حاخامات اليهود يسيئون إلى رسول الله ﷺ وإلى المسلمين، وهؤلاء عباراتهم كثيرة وبذاءاتهم متعددة.

إن إساءات الحاخامات والقساوسة إلى الإسلام ورسول الإسلام والقرآن جعلت وسائل الإعلام الغربية تعترف أن الإسلام يتعرض لهجمة شرسة فى الغرب بوجه عام وفى الولايات المتحدة بوجه خاص. فوكالة الأنباء الفرنسية تعترف بهذه الحقيقة وتقول إن هذا الهجوم يأتى من جانب اليمين العنصرى الصهيونى الذى يتخذ من المسيحية ستارًا لمهاجمة الإسلام والمسلمين والتطاول على المقدسات الإسلامية.

وفى تقرير لصحيفة واشنطن بوست الأمريكية فى عددها الصادر فى ١١/ ١٠/ ٢٠٠٢ تصف الصحيفة هذه الحملة العنصرية ضد الإسلام بأنها مزيج مشئوم من التزمت الدينى والديملجوجية والعنصرية[١].

والرد على هؤلاء فى القسم الأول من هذا الكتاب، فقد أبنت فيه بالوقائع من يصنع الإرهاب، وأنه صناعة غير المسلمين، وأن أمة الإسلام على طول التاريخ أمة عدل ورحمة ورقى وحضارة.

* * *

(١) جريدة اللواء الإسلامى المصرية العدد ١٠٨٢ بتاريخ ١١ شعبان سنة ١٤٢٣هـ ١٧ أكتوبر سنة ٢٠٠٢م.

خلاصة القول:

* إن الإرهاب «الإجرام» قد انتشر وشاع، وماذا بعد أن يوصف القرن العشرون بأنه «قرن الدم» إذ بلغ عدد القتلى فيه ١٨٧ مليون قتيل!! معظمهم فى الحرب العالمية الأولى والثانية، وضحايا تصفيات ستالين فى روسيا.

إن الإرهاب لا يقتصر على طائفة من البشر أو مساحة من الأرض، وإنما امتد شره ليضر بالكرة الأرضية كلها، فاقتراب العالم من بعضه، واستحواذ بعض الدول على الثروات والقوة، وحرص هذه على مصلحتها على حساب العالم، والأسلحة القوية والنووية كل ذلك جعل الإرهاب يشيع بين بنى البشر، وجعل الفساد يكثر فى كوكب الأرض.

* إن الإرهاب لم يخرج من أمة الإسلام، يؤكد ذلك التاريخ والواقع الذى نعيشه، وإنما جاء الإرهاب من قساة الأمم الأخرى، دفعتهم قسوتهم إلى التصدر والأخذ بزمام أمور شعوبهم، فسخروا وسائل الإعلام للترويج لقسوتهم، وزينوا أمور الحروب لشعوبهم، وربما اصطنعوا لها أسبابا، وراحوا بقسوتهم يقتلون ويدمرون تحت غطاء إعلامى يخدع ويتستر، ناسين أن للناس عقولاً، ولهم ألسنة وأقلام تقول الحق ولو بعد حين، وفى الناس حرارة إذا كثر الضغط عليهم حدث الانفجار. ومهما قالوا عن هذا الانفجار، وسموه «إرهابًا» وجرموا فعلته، فإن ذلك لا يشينه عند أهله، فقد ضاقت بهم السبل وليس أمامهم إلا هذا.

* إن المسلمين حينما كانت القوة فى أيديهم كانوا أكثر الناس عدلاً، وهم دائمًا أكثر الناس حلمًا، إن حلمهم هو الذى جرأ الآخرين عليهم، وإن عدلهم هو الذى جعل لرعاياهم قوة.. وإن مدنيتهم هى السبب فى

تمدن البلاد التى فتحوها.

إن المسلمين أمة لها دينها الذى تعتز به كل الاعتزاز، وهى موفقة فى الحفاظ عليه. هذا الدين جعل أهله دائمًا أهل عدل وإنصاف، وخير وبر.

والواقع الذى عشناه يشهد بذلك. فلا نجد دولة إسلامية تعتدى على دولة غير إسلامية، وإن اعتدت على دولة إسلامية فإن ذلك بتآمر الدول غير الإسلامية.

* إن الإرهاب عمل خطير، وشر مستطير، وتزيده الأيام شرا وسوءًا، وصانعوه يتفننون فى جعله أخطر، وفى التآمر للتهرب من مسئوليته، ومن هنا كان على العقلاء أن يفكروا كثيرًا فى سبل منعه، ووسائل قمعه وهذا موضوع الفصل القادم إن شاء الله تعالى.

* * *

القسم الثانى

الإرهاب من يمنعه؟

- الحرب؟
- العقل؟
- الدين؟

من يمنع الإرهاب؟

واضح من القسم السابق «الإرهاب من يصنعه؟» أن أعمال الإجرام «الإرهاب» تنوعت وكثرت، وتطاير شرها نواحى الكرة الأرضية، فقتل الكثيرين، وشرد الكثيرين، ودمر الكثير من مظاهر الحضارة.

ومن هنا فإن كل عاقل يتساءل: كيف نمنع الإرهاب؟

أو بعبارة أخرى: كيف نقى البشرية الإجرام والشر؟

والناس فى هذا ثلاثة أفرقاء:

فريق يرى أن الوسيلة القوية لمنع الإرهاب إنما هى الحروب، وأصحاب هذا الرأى هم الساسة المتجبرون، أصحاب القوة.

* وفريق ثانٍ يرى أن الوسيلة العظمى لمنع الإرهاب إنما هى العقل، فبالتباحث والفكر يمكن حل مشاكل العالم سلميًا، وما دامت المشاكل تحل فإن الإرهاب ينمحى. وأصحاب هذا الرأى هم عقلاء الأمم، الخيرون، الذين يفكرون دون تهور، ودون تعصب.

* وفريق ثالث يرى أن الوسيلة الوحيدة لمنع الإرهاب إنما هى الدين، فإنه يربى فى الناس الخير والعدل، ويشيع بينهم الفضيلة والإنصاف، وأصحاب هذا الرأى المتدينون، الذين نظروا فى التاريخ على طوله.

وأناقش هذه الآراء:

• القضاء على الإرهاب بالحرب:

هذا الرأى طُبِّق، وهو فى زماننا هذا يطبق، فترى السياسة الغربية بقيادة أمريكا أن الحرب تقضى على الإرهاب، وفعلاً أعلنوا الحروب على

أفغانستان، وها هم يلوحون بحرب العراق وغيرها وبخاصة من الدول الإسلامية. وكذلك اليهود يعلنون الحرب على الفلسطينيين بحجة القضاء على الإرهاب، يقتلون ويشردون، ويفعلون كل ما يتصور من القسوة والتدمير!! والصرب يقتلون إخوانهم البوسنيين والكوسوفيين؟

وروسيا تقتل أبناء عمومتهم الشيشان، وغير هذا كثير كما سبق فى القسم الأول.

وأصحاب هذا المسلك واقعون فى أخطاء متعددة:

الخطأ الأول: أنهم لم يُعَرِّفُوا الإرهاب، ولم يحددوا الإرهابيين!!!

فمن الإرهابى فى رأى اليهود؟ إنه كل إنسان لا يعمل على إقامة دولة اليهود، وكل إنسان يقف أمام أى مصلحة لليهود، ولو كانت على حساب الغير!!!

ومن الإرهابى فى رأى أمريكا وإنجلترا؟ من لم يعط فروض الولاء والطاعة للدولة العظمى الوحيدة فى العالم «أمريكا»!!!

الخطأ الثانى: أنهم لم يوقعوا الحرب على إرهابيين!!

فهل الفلسطينى الذى يرفض احتلال بلاده إرهابى؟

أم اليهود الذين احتلوا أرض الفلسطينيين هم الإرهابيون؟

إن حرب اليهود ليست على إرهابيين، وإنما حرب لاحتلال البلاد، وإبادة أهلها، ثم التوسع فى احتلال أراضى جيرانها، ولقد زاد إرهابهم ففرضوا على وسائل الإعلام أن تسمى الفلسطينى إرهابيًا!!!.

وهل الأفغانى الذى يعيش فى بلاده إرهابى؟ لماذا؟ هل لأن مبنى ضرب فى أمريكا؟ إنه لم يصح دليل واحد على أن الفاعل أفغانى أو ممن يقيم على أرض أفغانستان ممن يسمونهم «تنظيم القاعدة»!!!.

وعلى فرض أن الفاعل من أفغانستان فهل تباد دولة من أجل فعل حفنة من الناس ـ لماذا يقتل الكثيرون، ويشوه الكثيرون، ويؤسر الكثيرون، لماذا تضرب أفغانستان بأقوى القنابل، من عنقودية وانشطارية؟ لماذا كل هذا؟ إذا ثبت الفعل على مجموعة فلتحاكم أما أن تدمر دولة بلا سبب فهذا إجرام يسود وجه البشرية، وهل العراقى إرهابى لأنه يحتمل أن يكون عنده أسلحة قوية؟ سبحان الله!! كثير من الدول عندها أسلحة قوية، فلماذا تحارب العراق بسبب احتمال أن يكون عندها أسلحة الدمار الشامل؟

يحل لإسرائيل أن تمتلك مفاعلاً نوويًا، ويحطم مفاعل العراق!!!

ويحل لإسرائيل أن تمتلك ٥٠٠ قنبلة نووية، ولا يحق للعراق أن يمتلك صاروخًا!!

لماذا يحارب العراق؟ لماذا يدمر؟ إنه لم يرتكب أى إرهاب!! إنه لم يؤذ أمريكا ولا إنجلترا، فلماذا الحصار، والطلعات الجوية اليومية، والقتل والتدمير.

لماذا يقتل الصربيون البوسنيين والكوسوفيين، إن هؤلاء المقتولين لم يرتكبوا أى إرهاب!!!

لماذا يقتل الروس الشيشانيين؟ إنهم لم يرتكبوا أى جرم!!!

وهكذا فالحروب فى زماننا ليست ضد إرهابيين، وإنما ترتكب فى حق مظلومين، وبلغ من طغيان الدولة القوية أن تسمى أهل الدولة الضعيفة إرهابيين!!! وتخدع الفكر العام بأنه يجوز قتلهم، وبكل إجرام!!!

الخطأ الثالث: أن الدول القوية لم تفكر أن الحرب تضر بالكوكب الذى نعيش فيه جميعًا، بدءًا من صناعة السلاح، إلى تفجير هذه الأسلحة المعقدة.

الخطأ الرابع: أن الدول القوية لم تبال بكثرة المقتولين من المدنيين، فالحرب الحديثة تدار بأجهزة، تدمر المدنيين بقذف القنابل من فوق، أو إرسال الصواريخ من بعيد. إنها حرب السلاح فيها ليس فى يد جندى يقتصر سلاحه على من يحاربه من جنود!!!

وشىء آخر هو: أنه على مدار التاريخ أثيرت حروب كثيرة، أهلكت الكثيرين من البشر، وشوهت الحياة، ولم تحقق كسبًا، لا للمعتدى، ولا للمعتدى عليه، ولا للبشرية!!

ومن هنا فإن الحرب لا يمكن أن تقضى على الإرهاب، بل إنها تزيده، فإن المعتدى عليه لن يسكت، وإنما سينتقم لنفسه بأى وسيلة يستطيعها، والوسائل فى هذه الآونة كثيرة، فالحصول على المواد الفتاكة ميسور، سواء بجلبها أم بصنعها، وأصبح من الميسور الحرب بالسموم «القنابل الجرثومية» والحرب بالكيمياء، وهذه سهلة الصنع خطيرة الأثر.

إن الحرب فى زماننا فى غاية القسوة والخطورة، فآلاتها فظيعة، وأسلحتها خطيرة، وتهلك العسكريين والمدنيين، وتدمر كل وسائل الحياة، ولا تثمر إلا الشرور والضغائن، ومن هنا فإن العقل لا يقبلها وسيلة لأى أمر.

• القضاء على الإرهاب بالعقل:

وأتساءل هل يمكن القضاء على الإرهاب بالعقل؟

هذه الحروب الكثيرة والخطيرة التى اصطلت بنارها البشرية، هل يمكن للعقل أن يقضى عليها؟

لقد كان العقل موجودًا قبل هذه الحروب وأثناءها وبعدها، فلم يفد ولم ينجح فى إبطال هذه الحروب!!!

إن العقل هو الذى أشعلها، ولم يستطع منعها.

وإذا قلنا: إن الحروب أُشْعِلت بعقل القساة من الأمم المحاربة، وإن المعتدلين العقلاء من هذه الأمم يمكنهم منع الحروب، لو حزموا أمرهم، ونظموا جمعهم، وفرضوا رأيهم، ولم يتركوا فرصة لطلاب الحرب، لو فعلوا هذا لأمكن للعقل أن يمنع الإرهاب. إلا أن هذا كلام ممكن نظريًا، أما عمليًا، فدعاة الحرب لن يسلِّموا للعقلاء المعتدلين، ولن يُصْغوا لصوت العقل!!

إن الحرب عندهم طريق الحصول على الثروات غصبًا!!!

إن الحرب عندهم طريق خطف النجاح السياسى!!!

إن الحرب عندهم طريق الزعامة والسلطة على العالم!!!

فكيف يسمعون لصوت العقل؟!!

إنهم يسيرون على نظرية ميكيافيلى «الغاية تبرر الوسيلة».

إن بعضهم يقدم إلى المحاكم الدولية بتهمة مجرم حرب!!

إنهم يجرمون وحولهم أعوان يخدعون الشعوب، ومن هنا لا يمكن للعقلاء المعتدلين أن يوقفوا هؤلاء.

لقد بذل العقلاء المعتدلون وسعهم، ووضعوا المنظمات الدولية كالأمم المتحدة وتفريعاتها، والمنظمات الإقليمية كمنظمات حقوق الإنسان، إلا أن كل ذلك لم يكن كافيًا لمنع الحروب «الإرهاب» فحدثت الحروب، وضاع دور هذه المنظمات أمام طغيان القساة وطلاب الثروة والصدارة.

لقد بلغ من مؤامرات قساة العالم أن أفسدوا على العقلاء خططهم، فأفرغوا هذه المنظمات من محتواها، بل وقلبوا شأنها فجعلوها وسيلة يصلون بها إلى «الإرهاب»!!!

وهكذا فشل العقل فى منع الإرهاب والقضاء عليه.

• القضاء على الإرهاب بالدين:

وإذا كانت الحروب لم تستطع القضاء على الإرهاب!!!

وأيضًا العقول لم تستطع القضاء على الإرهاب!!!

فهل يستطيع الدين أن يقضى على الإرهاب؟

لقد حدث الإرهاب كثيرًا تحت عباءة الدين، فطوائف من رجال الدين كانوا فى غاية القسوة، ومارسوا القسوة تحت عباءة الدين، فالحروب الصليبية حدثت تحت عباءة الدين المسيحى، والدين المسيحى منها براء. ومحاكم التفتيش حدثت تحت عباءة الدين المسيحى، والدين المسيحى منها براء.

ولا زالت الحروب التى تحدث فى زماننا تدار تحت عباءة الدين، فحروب روسيا فى الشيشان وغيرها من منطلق دينى، وحروب الغرب من أمريكا وأوربا تدور تحت عباءة الدين، وحروب اليهود فى فلسطين وغيرها تحدث تحت عباءة الدين، واليمين المتطرف فى أمريكا وغيرها يردد نغمات الحروب الصليبية، ويدعو إلى إراقة الدماء والعنف والكراهية ضد غير المسيحيين.

وما ذكرته فى القسم الأول من هذا الكتاب يبين أنه لم يكن معين للحق وحاكم بالعدل إلا أمة الإسلام، هؤلاء الذين عدلوا فى حكمهم، وتمسكوا بالأخلاق فى فتوحاتهم، وأنصفوا فى إمارتهم. فالمسلم قائدًا كان أو جنديًا، تاجرًا كان أو صانعًا يمنع الإرهاب، وينشر الحق والخير، شهد بذلك التاريخ على طوله، وقاله المنصفون من كل الأمم، كما سبق أن ذكرت.

* * *

• سر قدرة الإسلام على منع الإرهاب:

ويرجع السر فى كفاءة الإسلام للقضاء على الإرهاب إلى:

١ ـ إن الإسلام دين يؤمن بجميع الأديان السابقة: فالمسلم يؤمن بنوح وإبراهيم، وداود وسليمان، مؤمن بموسى وبعيسى ـ عليهم السلام ـ مؤمن بكل الأنبياء السابقين. والمسلمون لا يذكرون نبيًا من الأنبياء إلا على سبيل الاحترام والإيمان برسالته، يعظمونه كما يعظمون رسول الله إليهم محمدًا ﷺ، والإيمان بجميع الأنبياء جزء من عقيدتهم، وواقعهم يشهد بذلك، فلا تجد مسلمًا يسىء إلى أحد من الأنبياء، ولا إلى دين من الأديان، بينما نجد المسيحيين يخطئون فى حق رسول الله محمد ﷺ، وفى حق المسلمين، ويخطئون فى حق اليهود، ونجد اليهود يخطئون فى حق رسول الله محمد ﷺ، وفى حق المسلمين، ومؤامراتهم فى ذلك قديمًا وحديثًا كثيرة ومتكررة.

إن اعتدال المسلمين وصل إلى أنهم لا يذكرون موسى أو عيسى إلا قالوا: عليه السلام ويسمون أولادهم بـ: موسى، وعيسى، وهارون ـ أخى موسى ـ ومريم ـ أم عيسى ـ ولا يمكن أن تجد أحدًا من اليهود أو النصارى سمى ابنه «محمدًا» ولا بأى اسم من أسماء آل البيت، أو أسماء الصحابة، أو أسماء أعلام الإسلام.

إن اعتدال الإسلام واضح فى اعترافه بالأديان السابقة، وظاهر فى إباحة طعام أهل الكتاب، وتزوج المسلم باليهودية أو النصرانية!!!

هل هناك سماحة أكثر من ذكر القرآن الكريم مريم ـ أم عيسى عليه السلام ـ على أنها سيدة مباركة متقبلة وعلى كل النساء مفضلة؟

اقرأ قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ [١] رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي

(١) امرأة عمران هى أم مريم.

بطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [١].

واقرأ قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [٢].

وقال رسول الله ﷺ: «كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٣].

ويقول رسول الله ﷺ: «أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات[٤] أمهاتهم شتى ودينهم واحد»[٥].

هكذا يحترم الإسلام المسيحية، ويُعَرِّف بقدر مريم أم عيسى، ويخبر أنها أفضل النساء، ولم يقل رسول الله محمد عن أمه ذلك!!!

ولمريم سورة فى القرآن الكريم باسمها، وليس لأم رسول الله محمد «آمنة» سورة فى القرآن باسمها، وليس فى الأناجيل سفر باسم مريم!!!.

ولم يعرف المسيحيون قدر مريم إلا حينما احتكوا بالمسلمين فى

(١) سورة آل عمران: آية ٣٥، ٣٧.

(٢) سورة آل عمران: آية ٤٢.

(٣) أخرجه البخارى رقم ٣٤١١.

(٤) الإخوة لعلات: المتحدون فى الأب المختلفون فى الأم والأنبياء كذلك متفقون فى أصل الدين «التوحيد» أما الشرائع فمختلفة.

(٥) أخرجه البخارى رقم ٣٤٤٣.

الحروب الصليبية وإذ يُعَرِّف القرآن والسنة بقدر موسى وعيسى، يحاول المسلمون تصحيح أخطاء اليهود فى حق الرسل، وتصحيح أخطاء النصارى، ولا زال المسلمون يقوِّمون ويصححون مما يدل على احترام الإسلام والمسلمين للأديان السابقة على طول التاريخ.

٢ ـ ومن أسرار قدرة الإسلام على منع الإرهاب، أنه دين يحترم كل الناس: فكل إنسان له حق الحياة، ودمه محترم، وماله محترم، وعرضه محترم، ودينه محترم، يستوى فى ذلك المسلم والنصرانى واليهودى والبوذى والشيوعى وكل الخلق.

إن الإسلام يحرم على أهله الظلم بكل أنواعه، ويحثهم على الفضائل ومكارم الأخلاق.

يقول الله تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴾ (١).

وحينما يثأر المسلمون لأنفسهم يقيدهم بالحق.

فيقول سبحانه: ﴿ **فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ (٢).

وينهى سبحانه وتعالى المسلمين أن يكونوا دعاة حرب.

فيقول الله تعالى: ﴿ **وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ (٣).

ويقول سبحانه: ﴿ **وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ**

(١) سورة البقرة: آية ١٩٠.
(٢) سورة البقرة: آية ١٩٤.
(٣) سورة الأنفال: آية ٦١.

اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (١).

وكان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سرية(٢)، أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا. ثم قال: اغزوا باسم الله، فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله. اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا. . الحديث(٣).

وأوصى رسول الله ﷺ جيشه عند الخروج فقال: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا(٤) ولا طفلاً، ولا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلوا(٥)، وضموا غنائمكم، وأصلحوا، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين»(٦).

٣ - ومن مزايا الإسلام أنه نظم كل شئون الحياة: نظم الإنسان فى ذاته، فعلمه العقيدة السليمة، التى هى أساس استقراره وسعادته، وعلمه الأخلاق الكريمة التى هى سر سموه وإنسانيته، وعلمه العبادات التى تحفظ عليه الاعتدال والحق. ونظم شئون الحياة من اقتصاد، وسياسة، وعسكر، ونظم شئون الأسرة والمجتمع والأمة، وأقام الحياة كلها على الحق والعدل.

إن الإسلام حقائقه ثابتة تصلح كل زمان وكل مكان، وما أمر بشىء إلا سلمت بأهميته العقول واعترفت بعظمته، ولا نهى عن شىء إلا تركته العقول وسلمت بضرره وخسته.

---

(١) سورة التوبة: آية ٦.

(٢) الجيش القليل العدد.

(٣) أخرجه مسلم فى أول الجهاد رقم ١٧٣١.

(٤) أى ضعيفًا لا دخل له فى الحرب.

(٥) أى ولا تخونوا.

(٦) أخرجه أبو داود فى الجهاد باب فى دعاء المشركين رقم ٢٥٩٧ حـ٧ ص٢٧٤.

إن الإسلام دين اصطفاه الله للبشرية فى أكمل أطوارها، ومن هنا فهو القادر على إسعاد البشرية فى كل مكان، إنه القيم العالية والأخلاق السامية التى اختارها الله لخلقه، وهو سبحانه العليم بما يصلح خلقه.

إن أحكام الإسلام من عند الله الحكم العدل، لا محاباة فيها لطائفة على أخرى، لا محاباة فيها للأغنياء على حساب الفقراء، ولا للفقراء على حساب الأغنياء. والرقيب على العباد فيها هو الله، وهو سبحانه يعلم السر وما هو أخفى من السر، ومن هنا يخلص الحاكم فيه كل الإخلاص، ويعدل فيه كل العدل.

ومن هنا حينما انتصر الصليبيون على المسلمين فى بيت المقدس قتل الصليبيون من المسلمين ٧٠,٠٠٠ فى خلال ثمانية أيام. ولما انتصر المسلمون على الصليبيين فى بيت المقدس بقيادة صلاح الدين لم يقتل المسلمون من الصليبيين واحدًا، وإنما وفّروا لهم الحماية والأمان!!.

٤ ـ عظمة الأمة الإسلامية:

ومن أسباب قدرة الإسلام على القضاء على الإرهاب أنه ربَّى أمة عظيمة، أمة اختارها الله لحمل دينه الحق بين البشرية، فقامت بذلك خير قيام.

* لقد حرصوا على تعلم العلم، وعلموا البشرية «أمة معطاءة علميًا وعمليًا».

* وهى أمة لا تجتمع على باطل[1].

* وهى أمة حريصة على سلامة نصوص دينها، فلا تبدل فى القرآن

---

(١) راجع كتابى «معجزات الرسول» جـ٢ ص٢٣٢ وراجع كتابى «المدخل إلى السنة النبوية» ص٣٠٣ الخاصية الثانية من خصائص الخبر الشرعى.

والسنة ولا تغير، وإنما تحافظ عليهما كل المحافظة، يستوى فى ذلك صالحها وطالحها. وهذا بخلاف الأمم الأخرى فلقد غيروا وبدلوا.

* وهى أمة منصورة، كتب الله لها النصر والعزة(١).

* وهى أمة خالدة، لا تهلكها الجوائح، ولا يقتلها عدوها(٢).

* غناها خير وقوتها عدل. فكثيرًا ما نرى الإحسان يخرج من أفراد ومجتمعات هذه الأمة، وقوتها دائمًا للعدل والإنصاف.

* إنها أمة بعيدة عن الشر، لا تحبه ولا تقبل عليه. قال الله فيها: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ (٣) إنها لا تحب القتال، لا تحب الإرهاب، شهد بذلك ربنا.

* إنها أمة محبة للخير قال الله فيها: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (٤).

* إنها أمة على طول تاريخها لم يعرف عنها ظلم ولا عدوان، ولم تضطهد أى أمة، ولم تعب أى دين، وإنما هى على الحق والرحمة والخلق القويم.

وبهذه الأوصاف فإن أمة الإسلام هى الأمة الكفيلة بالقضاء على الإرهاب، بل وإشاعة الحق والخير فى الأرض، والطريق إلى ذلك ما يلى:

---

(١) راجع كتابى معجزات الرسول ﷺ التى ظهرت فى زماننا جـ٢ ص٩٢.
(٢) المرجع السابق جـ٢ ص١٤٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٦.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

طريق نصرة الحق [(١)]

وقيام أمة الإسلام برسالة السلام العام، وحماية البشرية من ويلات الإجرام «الإرهاب» يقتضى أن تنهض هذه الأمة وتقوى، فإن قوة أهل الحق لا بد منها لنصرة الحق. وهذه الأمة تقوى بالأمور الآتية:

١ - العودة إلى الإسلام عقيدة وشريعة: فعلى أفراد هذه الأمة وجماعاتها أن يعملوا على ذلك جاهدين، وبخاصة العلماء والأمراء والوجهاء، علينا أن نجعل الإسلام الحاكم لحياتنا، ونستمد منه كل ما ينظم شئوننا.

إن أمة الإسلام حينما تمسكت بالإسلام عزت وسادت، وملأت الدنيا عدلاً وسماحة. وأصول الإسلام بحمد الله موجودة كما أوحاها الله سبحانه وتعالى إلى رسوله ﷺ، فالقرآن الكريم بين أيدينا، والسنة النبوية بين أيدينا، والعمل بهما كفيل بإحياء الأمة مهما كانت انحداراتها.

وعلماء الأمة بحمد الله على علم ودراية تامة بالإسلام، وإذا أعطتهم الأمة فرصة القيادة فسيأخذون بيد الأمة إلى الإسلام كما جاءنا به رسول الله ﷺ عن الله سبحانه وتعالى.

لقد ظهر فى الأمة صوارف عن دين الله، فكثرت أجهزة اللهو، وتنوعت الفتن، وكثر المنافقون وأحكموا خططهم، وعاونهم غير المسلمين، مما أبعد الكثيرين من الأمة عن الدين، وأضعف الأمة!!!.

ولكى تنتصر الأمة وتقوى لا بد من إضعاف الصوارف والعودة بالأمة

---

(١) لقد تكلمت فى هذا الموضوع بإيجاز شديد، وأسأل الله أن يوفقنى لإخراجه فى كتاب مستقل.

إلى الإسلام، يجتهد فى ذلك أخيار أمة الإسلام، ويتعاون معهم عقلاء الأمم الأخرى، وذلك فى:

- خروج الأمة من التبعية الفكرية والسياسية والعسكرية والاقتصادية وأخذ الأمة أمورها بأيديها وفق الشرع والدين.

- إيقاف الغزو الفكرى، هذه الحملة المضلِّلة، وإحياء الدراسات الإسلامية والتى هى العلم والعمل.

- الاهتمام بالجانب الدينى، والحرص على بلوغ الأمة الدرجة الدينية العالية، فهذا سبيل صلاح الفرد والأمة.

- الأخذ بأسباب القوة، من اقتصاد، وعلم، وعسكرية، ووحدة.

وأسوق بعض الإحصائيات التى تدل على حاجة الأمة لهذا العنصر:

* يشكل المسلمون ربع سكان العالم، وثروتهم ٦٪ من الثروة العالمية!!

* ثلثا فقراء العالم من المسلمين. والفقير هو الذى يعيش بأقل من دولارين يوميًا.

* يعانى ٩٩,٧٪ من العرب فوق الـ ١٥ سنة من الأمية التكنولوجية.

* فى الـ ٣٠ سنة الماضية لقى ٢,٥ مليون شخص حتفهم فى حروب إسلامية!!

- تنمية وعى الأمة، سواء الوعى الدينى أو السياسى أو الاقتصادى.

وأسوق أيضًا بعض الإحصائيات التى تدل على حاجة الأمة لهذا العنصر:

* ثلثا السجناء السياسيين فى العالم فى سجون دول إسلامية!!

* ٨٠٪ من لاجئى العالم من المسلمين!!

* الانتخابات النيابية فى كثير من الدول الإسلامية منعدمة أو غير نزيهة.

* الدعوة الإسلامية فى كثير من الدول الإسلامية مقيدة وموجهة.

إن هذه الأسباب وغيرها مما يقوى أمة الإسلام هو مسئولية خيار المسلمين، ويتعاون معهم العقلاء من الأمم الأخرى، وبذلك تصبح أمة الإسلام الحارس للفضيلة، والحامى للسلام العالمى. والآخرون شركاء لها فى هذا.

٢ ـ **معرفة رسالة الأمة الإسلامية:** فمهم جدًا أن يعرف المسلمون أنهم أمة لها دينها الذى ينظم حياتها، ويميزها عن غيرها. دين يرتقى بها ويجعلها ترتقى بالبشرية كلها.

إن أمة الإسلام لها رسالة فى هذه الحياة، ألا وهى أن تأخذ بيد البشرية إلى الحق والعدل، وتنشر مكارم الأخلاق بين الناس بعد أن تستأصل عوامل الشر والجور والإرهاب. وعلى العلماء أن يوضحوا للأمة هذه الرسالة.

لقد شاعت أفكار هدامة جعلت الكثيرين لا يفهمون هذه الرسالة، ويظنون أن غير المسلمين هم الذين يقومون بهذه الرسالة، وهذا شر خطير على الإنسانية، فلن ينصر الحق إلا أمة الإسلام، كما تحقق ذلك فى سابق الزمان.

ـ إن رضا المسلمين بغير رسالتهم هذه مضيعة للبشرية كلها!!!.

ـ إن رضا المسلمين بالماديات وإهمال حراسة الفضيلة مضيعة للبشرية كلها.

ـ إن انشغال المسلمين بالدون من أمور الحياة وترك الحق قضاء على البشرية بأسرها.

ـ ولا بد من الانشغال بالمعالى، وحب نصرة الحق، وحماية المبادئ والقيم. والتضحية فى سبيل ذلك بالنفس والنفيس.

٣ ـ الاستقلالية العلمية: فلا بد لقوة هذه الأمة من الازدهار العلمى القائم على المنهج الإسلامى. لقد فهم السلف ذلك فتقدمت الأمة فى كل العلوم، وفاقت كل الأمم. ولا بد فى زماننا هذا من ذلك، لابد من نهضة علمية تمكن أمة الإسلام من الصدارة والريادة. لا بد من التقدم فى كل مجالات الحياة، سواء منها الزراعى أو الصناعى أو الاقتصادى أو العسكرى أو الفكرى، لا بد أن تأتى الأمم إلينا لتتعلم منا، لا أن نذهب نحن لنتعلم منهم. لا بد أن يخرج إنتاجنا إلى العالم لا أن نستورد نحن منهم.

لقد انحدرت الأمة انحدارة علمية خطيرة، حتى راحت تتسول المعرفة من الأمم الأخرى، ورفضت الأمم الأخرى الجود بما عندها من معارف، فإنها أمم لا تأمرها أخلاقها بهذا. ومن هنا تأخرت الأمة الإسلامية وضعفت، وعليها أن تنهض كى تقوى، وتؤدى رسالتها.

إن التبعية العلمية نراها واقعًا فى الأمة، حتى فى الجانب الخلقى!! الذى أرساه ديننا، وأصبحت الأمة تقلد الأمم الأخرى فى كثير من أمور حياتها، فى السياسة والفكر، فى الرياضة والترفيه، فى الاقتصاد والصناعة، وهى إذ تقلد إنما تسير سير التابع العاجز، الذى ليس أمامه إلا هذه التبعية، وهى بهذا مهزومة نفسيًا، وهذه الهزيمة شر مستطير. ولنهضة الأمة لا بد من ترك هذه الانهزامية، وتلك التبعية، ولا بد من الاعتزاز بفكرنا النابع من ديننا وتجربتنا. وهذه مسئولية العلماء والأمراء والوجهاء، كل فى تخصصه، وكل حسب دوره فى الأمة، وهم بذلك إنما يبوءون الأمة مركزها، ويرحمون بذلك البشرية كلها.

• وختاما:

فواضح من هذه الدراسة ما يأتى:

- الإرهاب «الإجرام» عمل مدمر للإنسانية، يقتل البشر، ويدمر نتاج الفكر، ومظاهر الحضارة.

- الإرهاب عمل إجرامى يرتكبه قساة الأمم لبلوغ غاياتهم المادية من الاستيلاء على الثروات، والمكاسب السياسية.

- المسلمون أمة لا تقبل الإجرام «الإرهاب» ولو قبله البعض فإن الآخرين يمنعونه، فهم أمة ينظم حياتهم دين الإسلام، ربانى المصدر، خَيْرِىُّ المنهج، يرسى دعائم الأخلاق.

- بلغ من إجرام الأمم الأخرى أنهم يرتكبون الإجرام، ويلقون باللائمة على المسلمين، يصفونهم بذلك، والتاريخ والواقع يكذبان ذلك، ويعترفان للمسلمين بكل مثالية وخيرية.

- إن الإرهاب لا يُعَالج بالحروب - فالعنف لا يولد إلا العنف - والعقل لا يكفى لتلافيه، وإنما يُعالج بإعطاء المسلمين الفرصة لإشاعة الحق والعدل، كما فعلوا فى عصور قوتهم.

- إن قيام أمة الإسلام بالحق والسلام العالمى يستلزم العودة إلى الإسلام، وأن يسكت العلمانيون ودعاة التغريب، وأن يتوقف الغزو الفكرى، وأن تقوى الدراسات الإسلامية، وعوامل تجديد الدين.

- وعلى أخيار المسلمين ووجهائهم أن يقوموا بذلك، وعليهم أن يفكروا فى سبل إعادة الأمة إلى دينها العظيم، الذى صنع ماضيها المجيد، فسعدت وأسعدت البشرية كلها.

- وعلى عقلاء الأمم الأخرى أن يتعاونوا مع أمة الإسلام لتؤدى

رسالتها، فهى رسالة عالمية، لصالح كل البشرية.

- إن الإسلام ليس دين طائفة دون أخرى، وإنما هو دين الله سبحانه وتعالى للبشرية كلها، فمن أسلم اليوم فحقه فى الإسلام كحق من أسلم منذ قرن، والأمة التى تسلم اليوم حقها فى الإسلام كالأمة التى أسلمت منذ قرون، لا فرق بين عربى وغربى، كما لا فرق بين عربى وشرق أسيوى إن حق الماليزى والأندونيسى فى الإسلام كحق المكى والمصرى، فليعمل بالإسلام عقلاء البشرية، يكفون الأرض شر الإرهاب، ويقون البشرية شر الإجرام ويشيعون فى الأرض العدل والرحمة والسلام.

- إن من فضل الله على البشرية أن أنزل لها دين الإسلام، وحفظه وكتب له الخلود، وهذا الدين كفيل بإسعاد البشرية كل السعادة، من تمسكوا به فى سابق العصور سعدوا وعزوا، وانسابوا فى الأرض يعلمون البشرية الخير، وينشرون بينها الحق والعدل. ووجود هذا الدين فى الأرض حجة على البشرية، وفرصة لها أن تعرف الحق، وتتمسك به، فهذا هو طريق السعادة والخير والسلام.

أسأل الله أن يوفق الجميع للخير، وأن يَمُنَّ على البشرية بالعمل على نشر الحق.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين، والحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس الموضوعات